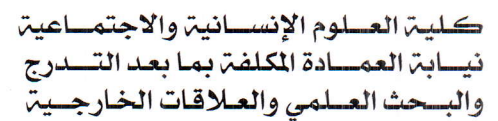


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



المسئلة في: 16 ماي 2021

الرقم: 462 / أمانة إقليمية / 6 / 6 / 2021

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

جلسة يوم: 22 ديسمبر 2020

بخصوص الموافقة على المطبوعات البيداغوجية

اجتمع المجلس العلمي للكلية في دورته العادية بتاريخ: 22 ديسمبر 2020 ووافق على المطبوعة البيداغوجية بعد ورود تقارير الخبرة الايجابية.

- لأستاذ (ة): بته مرزوق
- عنوان المطبوعة: التاريخ السياسي للمغرب
- الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ماستر.

سلمت هذه الشهادة للمعنى (ة) بطلب منه (ا) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون

رئيس المجلس العلمي



المسيلة في:

الرقم: ١٩٨/ك ع إ/ج/ن ت ب ع ع خ/2021

16 ماي 2021

شهادة إدارية

يشهد نائب العميد المكلف لما بعد التدرج و البحث العلمي والعلاقات الخارجية ان المطبوعة

البيداغوجية

للأستاذ (ة): مرزوق بته

● عنوان المطبوعة: مطبوعة محاضرات في مقياس التاريخ السياسي للمغرب

● الفئة المستهدفة: موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

وافق عليها المجلس العلمي للكلية بتاريخ 22 ديسمبر 2020 وذلك بعد ورود تقارير الخبرة الايجابية.

سلمت هذه الشهادة للمعني (ة) بطلب منه (ا) لاستعمالها في استخراج وثيقة الدروس على الخط

جامعة المسيلة
نائب العميد
المكلف بما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية
نائب العميد المكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية
الدكتور: مرزوق إبراهيم



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



Faculty of Humanities and Social Sciences
Deputy Dean in charge of Post-Graduation,
Scientific Research and External Relations

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نائب العمادة المكلفة بما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

المسيلة في:

الرقم: ٢٤٨/ك ع ا ج ن ت ب ع ع خ/2021

18 ماي 2021

شهادة ادارية

يشهد نائب العميد المكلف لما بعد التدرج و البحث العلمي والعلاقات الخارجية ان المطبوعة

البيداغوجية

للأستاذ (ة): مرزوق بته

- عنوان المطبوعة: مطبوعة محاضرات في مقياس التاريخ السياسي للمغرب
- الفئة المستهدفة: موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

وافق عليها المجلس العلمي للكلية بتاريخ 22 ديسمبر 2020 وذلك بعد ورود تقارير الخبرة الايجابية.

سلمت هذه الشهادة للمعني (ة) بطلب منه (ا) لاستعمالها في استخراج وثيقة الدروس على الخط

جامعة المسيلة
نائب العميد
المكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية
الدكتور: مرزوق إبراهيم



Faculté des Sciences Humaines et Sociales
Doyen en charge de la Post-Graduation,
Scientific Research and External Relations

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة المكلفة بما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

البلدة في: 16 ماي 2021

الرقم: 468 الكع (ج) 6/6 س ب ع ع 2021

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

لجلسة يوم: 22 ديسمبر 2020

بخصوص الموافقة على المطبوعات البيداغوجية

اجتمع المجلس العلمي للكلية في دورته العادية بتاريخ: 22 ديسمبر 2020 ووافق على المطبوعة البيداغوجية بعد ورود تقارير الخبرة الايجابية.

- للأستاذ (ة): بته مرزوق
- عنوان المطبوعة: التاريخ السياسي للمغرب
- الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ماستر.

سلمت هذه الشهادة للمعني (ة) بطلب منه (ا) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون



جامعة محمد بوضياف المسيلة
UNIVERSITY MOHAMED BOUDIAF OF M'SILA
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMAN SCIENCES AND SOCIAL SCIENCES
قسم التاريخ
HISTORY DEPARTMENT

مطبوعة بيداغوجية في مقياس التاريخ السياسي للمغرب
موجهة لطلبة السنة أولى ماستر، تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.
السداسي الأول

من إعداد الدكتور:
مرزوق بطة
betta.merzoug@univ-msila.dz

السنة الجامعية: 1440-1441هـ

2019-2020م

محتوى المطبوعة:

- المحاضرة الأولى: التحولات السياسية في بلاد المغرب خلال الفتح الإسلامي. ص 03-ص 23.

- المحاضرة الثانية: المدرايون. ص 24- ص 27

- المحاضرة الثالثة: الأغالبة. ص 28-ص 31

- المحاضرة الرابعة: الرستميون. ص 32-ص 43

- المحاضرة الخامسة: الأدارسة. ص 44-ص 49

- المحاضرة السادسة: برغواطة. ص 50-ص 65

- المحاضرة السابعة: الفاطميين. ص 66- ص 71

- المحاضرة الثامنة: الزيرون. ص 72- ص 77

- المحاضرة التاسعة: الحماديون. ص 78- ص 88

- المحاضرة العاشرة: المرابطون. ص 89- ص 92

- المحاضرة الحادية عشر: الموحدون. ص 93- ص 95

- المحاضرة الثانية عشر: الزيانيون. ص 96-ص 98

- المحاضرة الثالثة عشر: المرينيون. ص 99- ص 102.

- قائمة المصادر والمراجع: ص 103- ص 109

-المحاضرة الأولى: التحولات السياسية في بلاد المغرب خلال الفتح الإسلامي:

1) بلاد المغرب (التسمية والموقع وعناصر السكان):

أ. التسمية:

أطلق الفينيقيون لفظ أفري على أهل البلاد الذين كانوا يقطنون حول مدينتهم القديمة أوتيك (Utica)، وعاصمتهم قرطاجنة مدينتهم الحديثة، وعنه أخذ اليونان هذا الاسم الذي أطلقوه على سكان البلاد الأصليين الذين يسكنون بلاد المغرب من حدود مصر إلى المحيط، وبعد ذلك سميت هذه المنطقة أفريقيا، أي بلاد الأفري، وأصبح هذا الاسم يدل على المنطقة¹. أخذ معنى هذا اللفظ يتسع شيئاً فشيئاً، وهذا التوسع كان مرتبطاً بتوسع سلطان ونفوذ الدولة الرومانية في إفريقية، فأصبحت ولاية إفريقية القنصلية تضم ولاية إفريقية الأصلية والجزء الشرقي من تونس الحالية، بالإضافة إلى المنطقة الداخلية منها التي تمتد حتى فرّان، أما بقية إفريقية الرومانية، فسمي الجزء المقابل منها للجزائر الحالية نوميديا، يلي ذلك موريتانيا بقسميها القيصرية والطنجية، إفريقية تضم كل البلاد التي تدخل ضمن السيطرة الرومانية من هذه القارة من برقة بالمغرب الأدنى إلى طنجة بالمغرب الأقصى². وعن البيزنطيين أخذ العرب لفظ إفريقية، فكانت تدل في البداية على بلاد المغرب، وهو ما نجده عند البكري الذي يقول: "قال قوم أنها إفريقية أي صاحبة السماء، وقال آخرون سميت إفريقية لأن أفريقس ابن أبرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في أرض بربر، وهو الذي بنى إفريقية وباسمه سميت، وقيل بإفريق ابن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطوري، وقال قوم إنما سموها الأفارقة وبلادهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصرم، وقد زعموا أن اسم إفريقية ليبية سميت ببنت ياقوة بن يونس الذي بنى مدينة منفش بمصر، وهي التي ملكت ملك إفريقية وأصبح يسمى بها"³.

¹ _ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ص 01. أنظر: خطاب محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ج 1، دار الفكر، ط 7، 1984، ص 13.

² _ خطاب محمود شيت، المرجع السابق، ج 1، ص 13.

³ _ البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب _ جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 21.

وحدّ إفريقيا طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة مورطانية، وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق¹.

هذا حول المفهوم العام وما يشمله مصطلح إفريقيا، أما لفظ إفريقيا بمفهومه الخاص فأصبح يدل على بلاد المغرب الأدنى (تونس وليبيا)، وبعض من أجزاء المغرب الأوسط (الجزائر حاليا).

أما المقصود ببلاد المغرب، فهو مصطلح يطلق على كل الأقاليم التي تقع غرب بلاد مصر، والتي تشمل المغرب الأدنى (تونس وليبيا حاليا)، والمغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، والمغرب الأقصى (المغرب حاليا)².

وعرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة وذلك راجع بسبب الحضارات التي تعاقبت عليها، فقد أطلق اليونان اسم ليبيا على القسم الشمالي من إفريقيا الأهل بالسكان البيض، وقابلوا بينه وبين الصحراء بلاد الأحابش السودان³.

¹ _ نفسه، ص 21.

² _ حمودة عبد الحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي _ منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص 11.

³ _ نفسه، ص 11.

ب. الموقع والحدود الجغرافية:

أصبحت بلاد المغرب جزءاً لا يتجزأ من دولة الإسلام الواسعة الأرجاء، والممتدة من البحر المحيط غرباً إلى بلاد ما وراء النهر شرقاً، وهذا منذ أن فتحه العرب المسلمون خلال القرن 1 هـ / 7 م، لكن تظهر الصعوبة لأي باحث عند محاولة تحديد المغرب جغرافياً وأي الأقاليم التي يضمها، لأن المصادر تعطي لهذا المفهوم الجغرافي والسياسي تعريفات مختلفة، من ذلك نجد الجغرافي ابن حوقل (ت367هـ) قد اختار الحواجز الطبيعية أساساً لتعريفه بلاد المغرب فقد ذهب إلى أن النيل "نهر النيل هو الحد بين المغرب والمشرق"¹، ثم حدد لنا تخوم بلاد المغرب فرسمها على الشكل التالي: "وحده من مصر الإسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى بريّة تنتهي إلى أرض النوبة، آخذاً إلى البحر المحيط وممتداً إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانة وأودغشت، ثم يستمر عاطفاً إلى الشمال ماراً على بلاد برغواطة وماسة إلى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من بحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس وراجعاً حده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية من أرض إفريقية مقبلاً على أرض طرابلس وبرقة إلى الإسكندرية"².

فبلاد المغرب عند ابن حوقل تمتد من غرب مصر عند الإسكندرية شرقاً إلى البحر المحيط غرباً ومن بحر الروم إلى أرض الصحراء وبلاد السودان جنوباً، وتدخل هذه الرقعة الجغرافية بلاد الأندلس حسب ابن حوقل.

وفي النصف الثاني من القرن (5هـ/11م)، يرسم لنا الجغرافي الأندلسي أبو عبيدة البكري (ت487هـ)، حدود المغرب أثناء حديثه عن الصراع الذي كان بين الأمويين والعباسيين حول هذه المنطقة في معرض هذا الحديث: "وحد إفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، واسم طنجة موريثانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق"³.

¹ - النصيبي (ابن حوقل)، صورة الأرض، القسم الأول، طبع مدينة ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1967، ص64.

² - نفسه، ص ص61، 60.

³ - البكري أبي عبيد، المصدر السابق، ص21.

إن تخوم بلاد المغرب في نظر البكري تمتد من برقة شرق إلى طنجة جنوبا، ويتفق المؤرخون مع ما ذهب إليه الجغرافيون بخصوص تحديد تخوم بلاد المغرب فالمراكشي ذهب إلى اعتبار "أول حد بلاد إفريقية والمغرب قريب من خمس وعشرين مرحلة... وما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب خمس وأربعون مرحلة"¹.

وعلى هذا فإنه انطلاقا من هذا الامتداد الجغرافي لبلاد المغرب، وابتداء من القرن 5هـ/11م، ميّز الجغرافيون العرب بلاد المغرب، فلاحظوا أنها تتكون من ثلاث أجزاء، لكل واحدة طابعها الخاص الذي تتميز به، وهذه الأجزاء هي: المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى²، وهذا التقسيم ظهر عندما انقسم الصنهاجيين على أنفسهم في عهد باديس بن المنصور، واستقل حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط وأمن المغرب الأقصى وعدوان بني زيري الصنهاجيين، واستطاعت زناتة في ظل هذا الانقسام أن تمكن لنفسها وتفرض سيادتها على المغرب الأقصى، بحيث أصبح حقلا وسيادة لها، ولما مات الأمير باديس بن المنصور سنة 406 هـ، وبموته استراح حماد من حروبه وتم له ما أراد من تأسيس دولة فنية بالمغرب الأوسط، وانقسمت بذلك الدولة الزيرية الصنهاجية إلى دولتين إحداها شرقية في إفريقية وطرابلس وعاصمتها القيروان ثم فيما بعد المهدية، والأخرى غربية في المغرب الأوسط واتخذت لها قاعدة هي قلعة بني حماد³.

ولعل أول ما يشير إلى هذا التميز الجغرافي البكري في القرن 5هـ/11م، خلال وصفه لمدينة تلمسان بقوله: "وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطيف، وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق"⁴.

¹ - المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص249.

² - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1978، ص ص70، 96.

³ - مقلد الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، مج2، ج3، مكتوبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994، ص ص37، 38.

⁴ - البكري أبو عبيد، المصدر السابق، ص ص76، 77.

وفي القرن (6هـ/12م)، يذكر الإدريسي أن بجاية: "هي مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد... وأهلها يجالسون تجار بلاد المغرب الأقصى وتجار الصحراء"¹. وقد ظلّ مفهوم بلاد المغرب الأوسط والأدنى والأقصى، شائعاً لدى المؤرخين والجغرافيين بعد ذلك. ولكن ما يهمنا نحن في دراسة هذا الموضوع هو بلاد المغرب من بداية الفتح الإسلامي إلى عصر سقوط غرناطة، وهي الفترة الزمنية لموضوع الدراسة.

المغرب الأدنى:

يسمى إفريقية وكان يشمل تونس الحالية، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمته مدينة القيروان² أيام حكم الأغالبة ثم المهديّة³ أيام الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى يومنا هذا، واطلق عليه العرب اسم المغرب الأدنى لأنه اقرب إلى بلاد العرب ومركز الخلافة الإسلامية⁴.

¹ - الإدريسي الشريف أبو عبد الله، المغرب وأرض السودان والأندلس (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1863، ص 63.

² _ القيروان: القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان، وقد تكلمت به العرب قديما، والقيروان في الإقليم الثالث، طولها إحدى وثلاثون درجة، وعرضها ثلاثون درجة وأربعين دقيقة، وهي مدينة عظيمة بإفريقية غبرت دهرًا وليس بالغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية وأخربت البلاد، وهي مدينة مصرت في الإسلام أيام معاوية بن سفيان _ رضي الله عنه. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 4، دار صادر، بيروت، د ت، ص 420.

³ - المهديّة: بالفتح ثم السكون، في موضعين: إحداها بإفريقية والآخرى اختطها عبد المومن بن علي قرب مدينة سلا، وهذه المدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي، وبينها وبين القيروان مرحلتان، القيروان في =جنوبيها وهي على ساحل بحر الروم داخله فيه ككف على زند، عليها سور عال محكم كأعظم ما يكون يمشي عليه فارسان، عليها باب من حديد مصمت قام ببناؤها المهدي، حيث شرع في بنائها سنة 303هـ - وكمل سورها سنة 305هـ، وانتقل إليها في شوال 308هـ، ولم تزل دار مملكة لهم إلى أن ولي الأمر إسماعيل بن أبي القاسم سنة 334هـ. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص 229، 230، 231. البكري، المصدر السابق، ص 29، 30، 31.

⁴ _ حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 12.

المغرب الأوسط:

كان إنشاء القيروان من قبل عقبة بن نافع الفهري¹، سنة 50هـ / 670م، من أهم الأحداث في تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، حيث أخذت معالم ولاية إفريقية تتضح منذ إنشاء هذه المدينة، كما أصبحت القيروان قاعدة حربية يتوسع منها العرب صوب المغرب لإتمام فتحه، وقبله المغرب ومعدل الإسلام، فأصبحت الإقامة في القيروان أول ما تتجه إليه أنظار الوالي الجديد، بعد أن كان أول الأمر يتطلع إلى مصر ويتعجل العودة إليها²، ثم استطاع العرب أن يتموا فتح المغرب، فأوغل عقبة بن نافع في البلاد حتى أشرف على ساحل المحيط، وهياً العرب للمغرب نوعاً من الوحدة السياسية بزعماء القيروان. ولكن ما لبثت طبيعة البلاد أن ظهرت بوضوح وجلاء، وأخذت تهدد هذه الوحدة، فظهرت شخصية المغرب الأوسط ظهوراً واضحاً منذ البداية، حين تزعم حركة مقاومة الفاتحين العرب بزعماء كسيلة بن لمزم³، الذي أوقع بعقبة بن نافع، ولم ينجح العرب في بسط نفوذهم على

¹ - عقبة بن نافع الفهري بن عبد القيس الأموي القرشي، من كبار القادة في صدر الإسلام ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، بنى مدينة القيروان وولاه معاوية بن أبي سفيان إفريقية سنة 50 هـ / 670 م، ثم عزله وولاه ابنه يزيد على المغرب سنة 62 هـ / 681 م، ففتح مدناً عديدة، وفي عودته قتله البربر والروم في تهوذة من أرض الزاب سنة 63 هـ / 682 م أنظر: المراكشي محمد بن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، مطبعة بريل، لندن، 1948، ص 19.

² - حسن أحمد محمود، تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1999، ص24.

³ - هو كسيلة بن لمزم الأوربي البربري البرنسي أكبر رؤساء البربر وزعيم بربر أوربة والبرانس ولذا نسب إليهم، أسلم لما ولي أبو مهاجر الدينار إفريقية وحسن إسلامه، اجتمع إليه أهل إفريقية. أنظر: المراكشي محمد بن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 28.

المغرب الأوسط إلا بعد أن استطاع زهير بن قيس البلوي¹ من القضاء على كسيلة وجموعه في معركة ممس² سنة 69هـ / 689م³.

وأهم ما يلاحظ عن إقليم المغرب الأوسط، أنه يمثل ما يطلق عليه الجغرافيون حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي، وبما وراءها من البلاد. فهو يربط ولاية إفريقية (تونس)، وما وراءها بالمغرب الأقصى وما وراءه مما جعل هذه البلاد جسرا ومعبرا وزاد في أهميتها.

وقد سمح لها هذا الموقع أن تدخل ضمن دائرة التجارة الدولية حيث كان التجار يتجهون من عاصمة الخلافة إلى أوربا شرقا، وإلى شمال إفريقيا فالأندلس فأوربا في دائرة مغلقة⁴.

لقد كان المغرب الأوسط معبرا لكل الشعوب القادمة من جوف الصحراء، وكان من أثر ذلك كله أن أصبح هذا الإقليم في العصر الوسيط، أهم إقليم في بلاد المغرب تأثرا بالهزات العنيفة التي تجتاح إفريقيا. ولم يقدر للحضارة الإسلامية أن يتألق نجمها وتتفق سوقها، إلا بعد أن أتى الهلاليين على تراث القيروان، فظهرت أهمية مدن المغرب الأوسط. ثم ظهرت أهمية المغرب الأوسط — بصورة واضحة — حين ظهرت ثورات الخوارج¹ في بلاد المغرب الإسلامي حيث استفاد الخوارج من فراغ السلطة في المغرب الأوسط

¹ - هو زهير بن قيس البلوي نسبة إلى بلى قبيلة من قضاة أبو شداد، شهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص، ثم استخلفه عقبة بن نافع على القيروان بعد أن أعاده يزيد بن معاوية إلى ولاية إفريقية سنة 62 هـ. أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ص 400.

² - لما زحف كسيلة ومعه الروم إلى القيروان سنة 64 هـ، خرج زهير من القيروان وأقام في برقة واحتل كسيلة القيروان، ولما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة سنة 65 هـ، أمدّه بالمقاتلين فتوجه بهم لقتال كسيلة والروم والتقى الجمعان في موقع ممس وغلب المسلمون وانتصروا وقتل كسيلة وانكسرت شوكة البربر. أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج4، ص 400.

³ - المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: بروفنسال ليفي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص31.

⁴ - لومبارد موريس، الإسلام في مجده الأول، ترجمة: العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص ص325، 326.

لتنقية مراكزهم، فانبتق عن ذلك تأسيس الدولة الرستمية سنة (144هـ - 296هـ / 764م - 914م) بتيهت في غرب المغرب الأوسط، وهبت قبائل المغرب الأوسط تؤيد عبد الرحمن بن رستم²، فجاءت دولته لثورات الخوارج الاباضية في بلاد المغرب، وهي أول دولة إسلامية تأسست بالمغرب الأوسط سنة 144هـ / 764م.

- جغرافية بلاد المغرب الأوسط:

تعد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط، ضمن خارطة المغرب الإسلامي في العهد الوسيط مسألة معقدة يصعب الفصل فيها لعدم استقرارها على وضع معين، بفعل ديمومة حركة القبائل البربرية العربية، وحالة القوة والضعف للدول التي تعاقبت على حكمه، ودورها في استثمار هذه القبائل لخدمة أغراضها السياسية والعسكرية، ودعواتها المذهبية ومطامعها الاقتصادية، رغبة في التوسع والسيطرة والهيمنة.

فابن خلدون الخبير بأحوال المغرب الأوسط وأوضاعه العامة القبلية والسياسية والاقتصادية والدينية، يرى أن المغرب الأوسط كنية جغرافية تدل على المواطن التي كانت تستقر فيها القبائل الزناتية، من وادي ملوية غربا إلى وادي الشلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهت جنوبا.

¹- يعود الانتشار الحقيقي للمذهب الخارجي، في بلاد المغرب إلى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين، ممثلا في فرقتين فقط هما: الصفرية والاباضية. أنظر: إسماعيل محمود، حركة الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت، 1976، ص 72.

²- حكم ما بين 160 - 171 هـ / 777 - 788 م، علم من أكبر علماء الإباضية ولد بالعراق في العقد من القرن الثاني الهجري، ويرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس، إلا أن بعض المؤرخين يعيدون نسبه إلى اللزارقة ملوك الأندلس قبل الإسلام، والمهم في كلتا الحالتين أنه سليل بيت الملوك قبل الإسلام، نشأ في القيروان رحل إلى البصرة سنة 135 هـ / 752 م، ثم عاد إلى المغرب، عين واليا وقاضيا على القيروان في دولة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمع المعافري 140 - 145 هـ / 757 - 762 م، قام بنشر المذهب الإباضي، أسس وأتباعه مدينة تيهت، فاختر عبد الرحمن بن رستم إماما لأول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط، عرفت باسم الدولة الرستمية نسبة إلى والد عبد الرحمن، توفي سنة 171 هـ / 787 م. أنظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص84، 88، 89. وابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص ص239، 240.

ويعتبر الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا بلاد صنهاجة، أما إقليما بجاية وقسنطينة فمواطن كتامة وعجيسة وهوارة، وما وراء قسنطينة بداية حدود إفريقية وطرابلس¹، غير أن هذا التقسيم استند أكثر إلى توزيع قبلي صرف لمرحلة ما قبل القرن 5هـ / 11م، إذ لما قامت الدولة الحمادية سنة (405هـ - 547هـ / 1014م - 1152م)، وسيطر ملوكها على هذه الأقاليم الثلاثة من بونة شرقا إلى سيوسيرات غربا - تقع غرب تنس بمرحلة - وإلى ورجلان جنوبا²، وزاحمهم المرابطون (476هـ - 539هـ / 1084م - 1145م). من سيوسيرات شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، والصحراء جنوبا.

ولما دخلت القبائل الهلالية رياح وزغبة والأثبج مملكة الحماديين في النصف الثاني من القرن 5هـ / 11م، وانتشرت في القرن 6هـ / 12م، من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، إلى الصحراء جنوبا³.

مما أدى إلى تلاحم هذه الأقاليم بعناصرها القبلية: بربر وعرب فيما بينهم، وزاد في ترابطهما خضوعهم إلى سلطة مركزية واحدة في بجاية وتلمسان أثناء الحكم الموحيدي، الذي فرض منذ أواخر النصف الأول من القرن 6هـ / 12م. نظاما مذهبيا إصلاحيا وسياسيا موحدا جعل من سكانها يشعرون بانتمائهم إلى موطن واحد.

وقد استمر هذا الاعتقاد حتى نهاية الحكم الموحيدي في المغرب الأوسط، خلال العقدين الثالث والرابع من القرن 7هـ / 13م، وطيلة حكم الدولتين الحفصية والزيانية، ويؤكد على هذه التسمية فقيه بجاية وقاضيهما في عهد الحفصيين أبو العباس أحمد الغبريني (ت 704هـ / 1306م)، في عرض ترجمة للصوفي محمد عبد الحق بن الربيع البجائي (ت 675هـ / 1277م) بقوله: "لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله"⁴.

¹ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص 343. وأنظر: بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص17.

² - نفسه، ج6، ص349.

³ - نفسه، ج6، ص ص 343، 348.

⁴ - الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزي، ط2، الجزائر، 1981، ص88.

وهذا التمييز عن المغربين الأقصى والأدنى دليل على أن مصطلح المغرب الأوسط، كان يعني به العمق الممتد من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا، إلى الصحراء جنوبا.

المغرب الأقصى:

سمي أقصى لأنه أبعد الممالك الثلاثة عن دار الخلافة في صدر الإسلام، ويحده من جهة الغرب البحر المحيط، ومن جهة الشرق وادي ملوية مع جبال تازا، ومن جهة الشمال البحر الرومي، ومن جهة الجنوب جبل درن¹.

ويشتمل المغرب الأقصى على خمس أقاليم، هي: فاس²، ومراكش³، والسوس⁴، ودرعة⁵، وتافيلات، والمغرب الأقصى يعرف اليوم بإسم المملكة المغربية أو المغرب، وعاصمة المغرب الأقصى تناوبت بين مدينتي فاس ومراكش¹.

¹ - السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، دت، ص34.

² - فاس مدينة عظيمة، وهي قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يفصل بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس، نعمها كثيرة والحنطة بها رخيصة، وفواكهها كثيرة، وخصبها زائد، ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة، ويدور عليها سور عظيم، وبين المدينتين قناطر كثيرة، ومدينة فاس محدثة، أسست عدوة الأندلسيين في سنة 192هـ، وعدوة القرويين في سنة 193هـ، في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي. أنظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص434.

³ - مراكش مدينة تقع شمال أغمات، وعلى اثني عشر ميلا منها بداخل المغرب، بناها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة 470هـ، وقيل سنة 459هـ، وهي في وطاء من الأرض، وليس حولها من الجبال إلا جبل إيجليز، ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر علي بن يوسف أمير المسلمين، أما بناؤها فهو من الطين والطوب، ثم استخرجوا مياهها فكثر فيها البساتين والجنات، واتصلت عمارات مراكش وحسن قطرها، ثم بنى أسوارها علي بن يوسف بن تاشفين سنة 514هـ، وعلى ثلاثة أميال منها وادي تانسيفت، وهي كثيرة الزرع والضرع. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص540.

⁴ - السوس في أقصى بلاد المغرب، وهي مدينة جليلة حاضرة جاملة لكل فضل وخير، وأهلها أخلاط، وهي قرى وعمارات كثيرة متصلة ببعضها البعض، يصنع بها من الخز العتيق كل جليلة، وبها فواكه كثيرة كالجوز والتين والعنب والسفرجل والرمان. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص329.

⁵ - درعة بالمغرب في جهة سجلماسة، وإنما تعرف درعة بواديها، الذي يجري من المشرق إلى المغرب، وهو ينبعث من جبل درن، عليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام، وهي مدينة عامرة أهلة بالسكان، بها جامع وأسواق كثيرة ومتاجر رائجة، وهي في شرف من الأرض والنهر منها بقبليها، ويهبط لها من ربوة

عناصر السكان:

لقد سكن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي عدّة طوائف من السكان عمرت أقطاره، ومن بين هؤلاء الأجناس نذكر:

أ- البربر²:

وهم الغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب، وأصحاب البلاد الأصليين، في بداية الأمر تصدوا لعملية الفتح الإسلامي، ضنا منهم بأن الفاتحين المسلمين هدفهم هو نهب واستغلال ثروات البلاد كبقية الغزاة والمحتلين الذين سبقوهم، من وندال وجرمان ورومان وبيزنطيين، ولكن ما لبثوا أن تقبلوا دعوة المسلمين وساندوهم، بعد ما اختلطوا واحتكوا بهم، وتعرفوا على الدعوة الإسلامية ومبادئها السامية التي جاءت تدعوا سكان البلاد لأجلها، وهو الأمر الذي جعلهم يقبلون على الإسلام ويأمنوا به، وحملوا لوائه إلى بلاد الأندلس مبشرين به ومدافعين عنه³.

ويتفق علماء الأنساب على أن هذا الجيل وبطونهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما: برنس ومادغيس (الأبتر):

حمراء، فيها جميع الفواكه من النخل والزيتون وغيرهما، بالإضافة إلى الحناء التي تتوفر بها بكثرة. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص235.

¹ - حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص14.

² - هذا الجيل من الناس هم سكان المغرب القديم ملأوا البسائط والجبال من أريافه وتلوله وضواحيه وأمصاره، كانوا يصنعون مساكنهم من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر، ومن الشعر والوبر (الخيام)، وكانت مكاسبهم الأغنام والأبقار والخيول، ولباسهم وأكثر أثاثهم كان من الصوف، ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم، يقال: أن أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ولهجتهم، تعجب من ذلك وقال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة. أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص ص116، 117.

³ - شهابي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013، ص05.

-البرانس: وهم البربر المستقرون الذين يعيشون على الزراعة¹، ينسبون إلى جدهم برنس، وهم عند النسابين يجمعهم سبعة أجدام، وهي: أزداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، وهناك من زاد لمطة وهكسورة وكزولة.

-البتر: وهم البربر الرحل سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والتنقل²، يطلق عليهم إسم البتر نسبة إلى جدهم مادغيس الذي كان يلقب بالأبتر، وهم يجمعون على أربعة أجدام: أداسة ونفوسة وضرية وبنو لوا الأكبر، وكلهم بنو زحيك بن مادغيس³.

- ديانة البربر: كان البربر يدينون بأديان مختلفة، ومن بين هذه الديانات المسيحية التي انتشرت بين البربر الذين كانوا يستقرون في المناطق والمدن الساحلية، التي كانت خاضعة أو مجاورة للحكم البيزنطي، وبالإضافة إلى المسيحية انتشرت الديانة اليهودية التي كانت منتشرة من القدم عن طريق اليهود الذين كانوا يمتهنون مهنة التجارة والمراباة، شأنهم في كل زمان ومكان، أما عن الديانة الوثنية أو عبادة الكائنات والمخلوقات والظواهر الطبيعية، فقد كانت منتشرة بين غالبية البربر، ولا سيما الذين يقطنون البوادي والجبال والصحراء، غير أن هذه الديانات كانت منتشرة انتشارا سطحيا فقط، ولم يكن لها غلبة أو نفوذ⁴.

ب- الأفارقة:

الأفارقة هم خليط من عدة أعناس، فيهم من تجري في عروقه الدماء السامية القرطاجية، ومنهم من ينتسب إلى السلالة الآرية، أي من بقايا الرومان والروم، أو من الايطاليين، وكانوا يظهرون الولاء في الغالب لمن يسيطر على المنطقة، وكانوا خاضعين للبيزنطيين فترة من الزمن وعندهم أخذوا الدين المسيحي، ومظاهر الحضارة الرومانية، كما أن البعض منهم اتبع الديانة الإسلامية، حيث تقلد بعضهم مناصب إدارية وسياسية في ولاية

¹ - العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت، ص13.

² - نفسه، ص13.

³ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص ص117، 118.

⁴ - العبادي أحمد مختار، المرجع السابق، ص ص16، 17.

إفريقية، وكان من أشهرهم **عبد الأعلى بن جريج** مولى موسى بن نصير¹، ولقد كان الأفارق خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم².

سكن هؤلاء الأفارقة المدن الساحلية بصورة رئيسية، وعلى وجه الخصوص في مقاطعة أفريقيا البروقنصلية، حيث عرفت مدينة قابس³، حتى بعد الفتح العربي الإسلامي، على أنها مدينة الأفارقة الأعاجم، كما أنهم استوطنوا أيضاً في نوميديا بل وحتى في مناطق داخلية كمنطقة فاس الحالية⁴.

ت. اليهود:

وجد العرب المسلمون أيام فتحهم لبلاد المغرب جماعات من اليهود في إفريقية، ويرى بعض الكتاب أن الأفكار اليهودية بدأت تعرف طريقها إلى البلاد عن طريق الفينيقيين، وذلك قبل أن تهاجر بعض الجماعات من اليهود إلى بلاد المغرب في فترة تواجد وسيطرة الرومانيين، ولقد عمل هؤلاء المهاجرين على نشر الديانة اليهودية بين بعض القبائل البربرية⁵.

¹ - لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص16.

² - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عامر عبد المنعم، ج1، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص229.

³ - قابس: مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل، وهي تعد من بلاد الجريد، وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام، وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور صخر جليل من بناء الأول، ولها حصن حصين وأرباض واسعة، وفيها فنادق وحمامات، يحيط بها خندق، وهي كثيرة الثمار والتمر والموز بها كثير، ويصنع كذلك بها الحرير. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص450.

⁴ - ذنون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص44.

⁵ - خطاب محمود شيت، المرجع السابق، ج1، ص20.

ث. السودان:

من المعروف أن بلاد المغرب وثيقة الصلة ببلاد السودان الغربي جغرافياً، مما ترتب عليه امتزاج الدماء منذ أقدم العصور¹، والحقيقة أن واحات الصحراء هي التي كانت همزة الوصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان²، وتعود جذور تلك العلاقة إلى ما قبل العصرين الفينيقي والقرطاجي، حيث كانوا يشغلونهم في الخدمات الخاصة بالحراسة والفلاحة، حيث استخدموا كل الوسائل لجلبهم من بلادهم إلى بلاد المغرب. وقام سكان الصحراء المنتشرون في المدن والواحات بلعب دور كبير في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان، وكان ذلك عن طريق التجارة أو تسهيل حركة مرور التجار وغيرهم بالمنطقة الصحراوية³.

ج. الروم:

هم الطبقة الحاكمة التي كانت تسيطر على الشريط الساحلي لبلاد المغرب، والذين نجد بأنهم لم يتغلوا في المناطق الداخلية للبلاد، وذلك نتيجة لصعوبة الحياة وقساوتها، زيادة عن رفض القبائل للسلطة الاستعمارية، ومع مرور الوقت استقر بعضهم وأقام في المنطقة واشتغل بالزراعة أو التجارة، ومن بين المناطق التي نجد أن الروم انتشروا فيها ببلاد المغرب نجد منطقة طنبنة⁴ (بريكة حالياً)، وبرنيق التي هي إحدى ضواحي برقة⁵.

¹ - حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 20.

² - خطاب محمود شيت، المرجع السابق، ج 1، ص 20.

³ - حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص ص 20، 21.

⁴ - **طنبنة:** مدينة كبيرة، لم يكن من القيروان إلى سجلماصة أكبر منها، سورها قام ببنائه المنصور أبي الدوانيق، وهو مبني بالطوب، وهي من المدن التي افتتحها موسى بن نصير، وبها قصر وأرباض، وداخل القصر جامع وصهريج كبير، ويقال أن الذي قام ببناء طنبنة عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزارمرد، يسكنها العرب والعجم، ولمدينة طنبنة من الأبواب، باب خاقان وهو مبني من الحجر، وباب الفتح وباب تهوذا، والباب الجديد، وباب كتامة، هي مدينة الزاب وهي حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير، وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرقة في ضروب من التجارات والتمر بها كثير، وكذلك سائر الفواكه. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 387. البكري، المصدر السابق، ص ص 50، 51. الإدريسي، المصدر السابق، ص 93.

⁵ - حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 24.

(2) مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (22_91هـ/642_709م):

إن قصة بلاد المغرب تبدأ من عصر الفتوحات الإسلامية، إذ سبق الفتح الإسلامي للمغرب إرهابات وأحداث وقضايا سياسية، ونزاعات عرقية وثورات محلية في مدينتي برقة وطرابلس، كان لها أثر بالغ في تغيير مجريات الأحداث السياسية والدينية في المنطقة، وتهئية نفوس أهالي ليبيا لقبول الإسلام، حيث إنهم كانت قد بلغتهم أخبار فتح المسلمين لبلاد الشام ومصر، فتطلعوا إلى الخلاص على أيدي المسلمين من أولئك البيزنطيين وحكمهم الجائر التعسفي، لذلك حاول نفر من أهالي ليبيا التمرد على نظام الإمبراطورية البيزنطية والخروج إلى ناحية مصر، حتى يلتقوا بقائد الجيوش المسلمة عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان يومئذ حاكم مصر، وما أن وصل هؤلاء نفر حتى أعلنوا إسلامهم، وأعطوا ولاءهم لقيادة المسلمين بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، نيابة عن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه¹.

ولما كان الحال في المغرب كذلك، فقد قرّر عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن يضع إستراتيجية أمنية وقائية لمدينة مصر من الناحية الغربية؛ حتى يأمن شرّ الروم المتواجدين في ناحية برقة وطرابلس، بعد أن أمن فتوحاته في البلاد الشامية، وذلك بفتحه الإسكندرية.

كما قرّر عمرو بن العاص رضي الله عنه، إرسال عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه في سنة 22 هـ/ 642م - على الأرجح بعد استئذان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كمقدمة استطلاعية لفتح بلاد المغرب، فافتتح عقبة زويلة صلحاً وما بين برقة². وفي نفس السنة سار عمرو بن العاص بنفسه من مصر حتى بلغ برقة، وكانت تنزلها بعض بطون من قبائل لواتة وزواغة، وكانت هذه القبائل ساخطة على البيزنطيين، لما كانوا عليه من الظلم والعسف وجباية الضرائب منهم، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار

¹ - الصلابي علي محمد، الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2007، ص70.

² - ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، مج2، تح: القاضي أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص423.

يؤدونها إليه جزية، وكان أهلها يرسلون ما عليهم من الأموال إلى والي مصر إذا جاء وقتها دون ذهاب جابي الخراج إليهم¹.

وفي نفس السنة (22 هـ / 642م) وصل عمرو بن العاص إلى مدينة أجدابية فافتتحها صلحاً على أن يدفع أهلها خمسة آلاف دينار، ولكن ما لبثوا على دفع الجزية إلا قليلاً، حتى أسلم معظم أهلها، وذلك لما رأوه من الفاتحين من العدالة والمساواة والصدق والأمانة والطهارة والعفة، وهو ما لم يروه من قبل في جيوش تلك الإمبراطوريات الظالمة². بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان من أهم أعماله أنه عمل على توطيد نفوذ المسلمين في كثير من البلاد التي تم فتحها من قبل، كما نجح ولاته في ضم مناطق جديدة إلى رقعة الدولة الإسلامية.

وحين تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه خلافة المسلمين عزل عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن ولاية مصر سنة (26 هـ / 646م)، وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطلب عبد الله بن سعد بن أبي سرح الإذن من عثمان بن عفان رضي الله عنه، لاستكمال الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، إلا أنه بعد مدة حدثت في بلاد المشرق ومركز الخلافة فتنة عثمان رضي الله عنه وما تلاها من أحداث، حيث أثرت في نشاط الفتوحات الإسلامية؛ إذ لم يستطع القادة والجند مواصلة الفتوحات، بعد أن شبت نيران هذه الفتنة، لأن المدد قد انقطعت عنهم، وتوقعوا أن تحول حروب الداخل دون إرسال الجند إلى الأطراف فتركوا ما بأيديهم، ولبت بعضهم حيث هو ينتظر نتيجة الصراع المحتدم، وعاد البعض الآخر إلى الحجاز والشام ليسهم في هذه الأحداث العنيفة³. لقد شغل المسلمون عن إفريقية والفتوح عامة بسبب فتنة عثمان رضي الله عنه، ثم الحرب بين علي بن أبي طالب

¹ - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج2، تح: تورّي شارلز، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص ص 170، 171. وأنظر: البلاذري أبي العباس أحمد، فتوح البلدان، تح: الطباع عبد الله أنيس، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1987، ص314.

² - الصلابي علي محمد، المرجع السابق، ص74.

³ - مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ص110.

ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما، ولم يتجدد نشاط الفتوح مرة أخرى إلا بعد استقرار الأمر لمعاوية سنة 41 هـ / 661م¹.

لقد نشطت حركة الفتوح خلال عصر الدولة الأموية، وبدأ المسلمون يمارسون دورهم الحضاري في النهضة، وذلك عن طريق ترسيخ الوجود الإسلامي في بلاد المغرب، وقد كان من مظاهر ذلك:

- القيروان مركز الحضارة الإسلامية بالمغرب:

لم تبدأ الحياة العلمية المركزة إلا بعد تأسيس القيروان سنة 50 هـ، فسرعان ما أصبحت القيروان مركز الحضارة الإسلامية بالمغرب وعاصمته العلمية، منها انطلق الدعاة وإليها رحل طلاب العلم من الآفاق. ولا شك أن الصحابة الذين كانوا في جيش عقبة قد جلسوا للتدريس فيه على النمط الموجود في مدن المشرق آنذاك، فقد كان مع عقبة أثناء تأسيس القيروان ثمانية عشر صاحبياً²، وقد مكثوا فيها خمس سنوات كاملة كان عملهم فيها - ولا شك - نشر اللغة العربية، وتعليم القرآن والسنة في جامع القيروان، وذلك أثناء بناء مدينة القيروان، حيث لم تكن هناك غزوات كبيرة تتطلب غياباً طويلاً عن القيروان، أما في غزوة عقبة الثانية فقد كان معه خمسة وعشرون صاحبياً³، وسائر جيشه من التابعين.

ولقد استقطبت القيروان أعداداً هائلة من البربر المسلمين الذين جاءوا لتعلم الدين الجديد، قال ابن خلدون عند حديثه عن عقبة: "فدخل إفريقية وانضاف إليه مسلمة البربر، فكبر جمعه، ودخل أكثر البربر في الإسلام ورسخ الدين"⁴، ولا شك أن الفاتحين قد خصصوا لهم من يقوم بهذه المهمة، ومن القيروان انتشر الإسلام في سائر بلاد المغرب، فقد بنى عقبة بالمغربيين الأقصى والأوسط عدة مساجد لنشر الإسلام بين البربر، كما ترك صاحبه شاكراً في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم البربر الإسلام⁵، ولما جاء أبو المهاجر دينار لولاية إفريقية تألف كُسيلة وقومه وأحسن إلى البربر، فدخلوا في دين الله أفواجاً ودعم حسان بن

¹ - مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004، ص 37.

² - المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 20.

³ - المصدر نفسه، ص 23.

⁴ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج 4، ص 186.

⁵ - المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 27.

النعمان - فيما بعد - جهود عقبة في نشر الإسلام بين البربر حيث خصّص ثلاثة عشر فقيهاً من التابعين لتعليم البربر العربية والفقه ومبادئ الإسلام، وواصل موسى بن نصير هذه المهمة حيث: أمر العرب أن يعلّموا البربر القرآن، وأن يفقهوهم في الدين، وترك في المغرب الأقصى سبعة وعشرين فقيهاً لتعليم أهله¹.

(3) عصر الولاة وخصائصه (98-184هـ/716-800م):

يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب والأندلس، أو الغرب الإسلامي كما يسمى أيضاً، على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير (86-96هـ/705-715م)، من بلاد المغرب والأندلس سنة 96هـ/715م، حتى قيام الدولة المستقلة عن السلطة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة²، بعد ثورات المغاربة، كدولة المدراريين بسجلماسة سنة 140هـ، والرسّميّين بتيهّرت سنة 160هـ، ويدل هذا الاسم _ أي عصر الولاة - على وضع سياسي معين شهدته البلاد الإسلامية في الجناح الغربي لمركز الخلافة، منذ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرن 01هـ/07م³. فمنذ ولاية موسى بن نصير أصبح حاكم البلاد أميراً يقيم بمدينة القيروان⁴، وكانت الأندلس تابعة لولاية المغرب، فوالي إفريقية يولي على بلاد الأندلس من يحب⁵، فكانت بلاد المغرب والأندلس تابعة للسلطة المركزية مباشرة والتي كان مركزها بدمشق في عهد الدولة الأموية، ثم بغداد في عهد الخلافة العباسية، على اعتبار أن بلاد المغرب والأندلس كانا يخضعان في ذلك الوقت إلى الولاة المقيمين في مدينة القيروان⁶، الذين تولوا شؤونهما باسم السلطة المركزية، وقاموا بتنفيذ السياسية التي رسمها الخليفة وأعوانه في عاصمته ببلاد المشرق⁷.

¹ - المصدر نفسه، ص 42.

² - فيلالي عبد العزيز، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، ص 21.

³ - نفسه، ص 21.

⁴ - إسماعيل محمود، قضايا في التاريخ الإسلامي، ص 124.

⁵ - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: الأبياري إبراهيم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 37.

⁶ - جوليّان شاري أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ص 36.

⁷ - فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 21.

هذه السياسة التي سقطت في الكثير من السلبات والأخطاء والتجاوزات، سواء على المستوى الأخلاقي أو العنصري، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو العسكري، الأمر الذي دفع بالمغاربة للرد بطريقتهم الخاصة والمعتادة على إمتداد تاريخهم الطويل، أي بالثورة على هؤلاء الولاة وأسلوب حكمهم.

عرفت بلاد المغرب بداية عصر الولاة بدءاً من عام 98هـ، والذي كان عصر قلاقل واضطرابات، وقد بدأت تلك الاضطرابات بعدما اختار سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم والياً على إفريقية، وكان شديداً كالحجاج، وأراد أن يسير فيهم سيرة الحجاج في أهل العراق فكانت النتيجة أن قتلوه، ومن بعدها لم يستقر أمر ولاية إفريقية في عصر بني أمية، وشهد المغرب الفتنة المغربية الكبرى التي تضخمت في العصر العباسي، حتى وصلت إلى استقلال الولايات الإفريقية، وإقامة دول مستقلة فيها.

لقد سيطر الخوارج على المغرب في أواخر عهد الدولة الأموية، وسار إليهم محمد بن الأشعث فدخل إفريقية وفيها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري يقاتل الخوارج¹.

فقد برزت الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى وسيطرت عليه، وظهرت الإباضية في المغرب الأدنى والأوسط، وأخضعت أجزاء واسعة لنفوذها، وكان عبد الرحمن بن حبيب يقاتل الخوارج عندما قامت الدولة العباسية².

وفي سنة 155هـ عين يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة والياً على إفريقية فانتصر على الخوارج الإباضية والصفرية، واستطاع أن يفرض نفوذ العباسيين في المغرب قبل نهاية حكم المنصور، وبقي يزيد بن حاتم في المغرب حتى عام 170هـ³.

ثم سادت الاضطرابات في إفريقية ابتداءً من سنة 171 هـ / 787م بفعل خروج الخوارج وقادة الجند والبربر؛ فأرسل الرشيد هرثمة بن أعين والياً على إفريقية، وأمره بقمع الانتفاضات وتوطيد الأمن، فنجح في مهمته ودخل القيروان وأمن الناس.

¹ - شاکر محمود، التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط6، 2000، ص84.

² - نفسه، ص87.

³ - نفسه، ص126.

ويبدو أن الخلافات بين الفئات الإسلامية المتعددة كانت واسعة فتجددت القلاقل، ولم يتمكن هرثمة من القضاء على الفتن والثورات، فعزله الخليفة بناءً على طلبه في سنة 180 هـ/ 796م، كما لم يتمكن الولاة الذين جاءوا من بعده من السيطرة على الموقف، فاستغل إبراهيم بن الأغلب عامل إقليم الزاب (في الجزائر اليوم) هذه الأوضاع القلقة، وطلب من الخليفة توليته على إفريقية ووعدته بتهدة الوضع، فاستجاب الخليفة لطلبه، وعهد إليه بالولاية على إفريقية في سنة 184 هـ/ 800 م، فسكنت البلاد وقام ببناء مدينة بالقرب من مدينة القيروان أطلق عليها اسم العباسية وانتقل إليها بأهله وعبيده¹، ونجح إبراهيم في تحقيق الاستقرار في البلاد لأنه اتبع في ذلك سياسة معتدلة، وازدهرت إفريقية في عهده وشهدت حركة عمرانية واسعة ونشاطاً اقتصادياً كبيراً، وقد مهد إبراهيم بهذا لقيام دولة الأغلبية التي ما لبثت أن استقلت عن الإدارة المركزية في بغداد، واتخذت القيروان حاضرة لها.

لقد شهد العصر العباسي تقلص سلطة الخلافة عن الولايات؛ مما مهد السبيل لكل ناظم على الدولة، أو مخالف لها لأن يقيم دولته الوراثية الخاصة في أطراف الخلافة، وقد كان من هؤلاء إبراهيم بن الأغلب الذي أقام دولة الأغلبية، ولكن بموافقة الخلافة العباسية.

ومن خلال ما سبق ذكره، يمكننا أن نستنتج بأن عصر الولاة اتسم في بلاد المغرب، بأربعة مظاهر كبرى هي:

- أ- تفشي الروح العصبية والعنصرية القبلية بين القبائل العربية.
- ب- ظهور الممارسات السلبية للسياسة الأموية، وإدارتها في بلاد المغرب.
- ت- انتشار المذهب الخارجي (الصفري والإباضي) بين قبائل بلاد المغرب الإسلامي.
- ث- اندلاع الثورات والانتفاضات الشعبية المسلحة لسكان بلاد المغرب الإسلامي ضد ولاة السلطة المركزية، والتي انتهت في النهاية إلى قطعية بين سكان المغرب ومركز الخلافة في المشرق، بالإضافة إلى خروج معظم مناطق المغربين الأوسط والأقصى عن إدارة الخلفاء، وولاتهم في إفريقية².

¹ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص313.

² فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ص23.

د. مرزوق بطة _____ محاضرات في مقياس التاريخ السياسي للمغرب.

ولقد أدى هذا الخروج التدريجي لبلاد المغرب الإسلامي عن السلطة المركزية الأموية والعباسية في المشرق، إلى ظهور مجموعة من الدويلات المستقلة في جميع أنحاء، وهو ما نتج عنه الانفصال التام والاستقلال النهائي في نهاية المطاف، بعد الثورات التي اندلعت كذلك أثناء الحكم العباسي.

-المحاضرة الثانية: دولة برغواطة بشالة (127-542هـ/745-1147م):

-تمهيد:

لقد شهدت بلاد المغرب بعد استقرار الفتح الإسلامي وانتشاره، ظهور عدّة دول إسلامية انتشرت عبر ربوعه، حيث حاولت كل دولة السيطرة على جزء من أجزائه والتحكم فيه، وهو ما تم بالفعل حيث قامت ببلاد المغرب الإسلامي أزيد عن ثلاثة عشر دولة، بداية بدولة برغواطة التي قامت بمنطقة شالة بالمغرب الأقصى، ما بين سنتي (127-542هـ/745-1147م)، ونهاية بالدولة المرينية التي فرضت سيطرتها على المغرب الأقصى، ما بين سنتي (668-869هـ/1269-1465م).

لقد حاولت هذه الدول التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي، التوسع وفرض نفوذها على حساب بعضها البعض، وهو ما أدى إلى قيام صراعات وحروب فيم بينها، كانت تنتهي تارة بالصلح وتارة أخرى بالسيطرة.

أ. التعريف بقبائل برغواطة:

برغواطة بطن من المصامدة، يقطنون بمنطقة تامسنا¹، وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وآسفي، وكل سواحل غرب المغرب الأقصى إلى جنوب مدينة طنجة، كان شيخهم طريف أبو صبيح أحد قواد ميسرة المطغري رئيس الخوارج الصفرية، الثائر على ولاية بني أمية بالمغرب، منذ مطلع القرن 2هـ/8م، ولما زال ملك الصفرية وقتل ميسرة المطغري، انحاز طريف إلى قومه وبقي قائما بأمرهم بتامسنا مناوئا لولاية بني أمية، ويقال بأنه تنبأ وشرع لقومه الشرائع²، وكانت وفاته سنة 127هـ/745م، والجيل الأول منهم كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة، وكانوا شيعة وشيوخا مفترقين، ولما هلك وولى مكانه ابنه صالح الذي كان قد حضر مع أبيه حروب ميسرة المطغري، وكان من أهل العلم والخير فيهم، ولكنه انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، حيث ادعى أنه نزل عليه قرآن، وكان يتلو عليهم بعض السور منه، يسمى منها: سورة الديك وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وكثير من الأنبياء، وسورة هاروت وماروت وإبليس وسورة غرائب الدنيا، وفيها العلم العظيم بزعمهم، حرّم فيها وحلّ وشرع وقصر،

¹-السللاوي، المصدر السابق، ج1، ص59.

²- نفسه، ص170.

وكانوا يقرؤون في صلواتهم بآياته المزعومة، وكانوا يطلقون عليه إسم المؤمنين، كما رواه البكري عن زمور بن صالح بن هاشم بن وراذ الوافد منهم على الحاكم المستنصر الخليفة بقرطبة، من قبل ملكهم أبي عيسى بن أبي الأنصاري سنة 352هـ/963م، وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسي، قال: وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 227هـ/842م، وقد قيل أن ظهوره كان لأول الهجرة، وأنه إنما انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه شأن النبي _ صلى الله عليه وسلم والأول أصح، ثم زعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان، وأن سيدنا عيسى عليه السلام يكون صاحبه ويصلي خلفه، وأن اسمه في العرب صالح وفي السريان ماللك وفي الأعجمي عالم، وفي العبراني روبيا وفي البربري وربا ومعناه الذي ليس بعده نبي، ثم خرج إلى بلاد المشرق بعد أن ملك أمرهم 47 سنة، ووعدهم أنه يرجع في دولة السابع منهم وأوصى بدينه إلى ابنه إلياس، وعهد إليه بموالاته صاحب الأندلس من بني أمية، وإظهار دينه إذا قوى أمرهم¹.

ب. أمراء برغواطة:

-صالح بن طريف: (127-174هـ / 745-791م)

لما توفي طريف خلفه في قومه ابنه صالح بن طريف، الذي كان يحارب إلى جانب أبيه في ثورة ميسرة المطغري²، قال فيه ابن خلدون: وكان من أهل العلم والخير فيهم، ولكنه انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، حيث ادعى أنه نزل عليه قرآن، ثم خرج إلى بلاد المشرق بعد أن ملك أمرهم 47 سنة، ووعدهم أنه يرجع في دولة السابع منهم وأوصى بدينه إلى ابنه إلياس³.

¹ - فيلالي بلقاسم، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من الفتح إلى قيام دولة المرابطين، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014، ص ص 35، 36.

² - السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 170.

³ - أبي عبيد البكري، المصدر السابق، 135.

-إلياس بن صالح بن طريف (174-224هـ/745-791م):

عهد إليه أبيه بموالة صاحب الأندلس من بني أمية وبإظهار دينهم إذا قوى أمرهم، فلم يزل مظهرا للإسلام ويسرّ الذي عهد إليه به أبوه خوفا وتقية، وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا إلى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة¹.

-يونس بن إلياس: (224-268هـ/839-882م):

تولى الأمر من بعد أبيه وأظهر دياناتهم ودعا إليها، وقام بقتل من لم يدخل في فيها، حتى أنه قام بحرق مدائن تامسنا وما والاها، حتى أخلى 387 مدينة وحمل أهلها على السيف لمخالفتهم إياه، ورحل يونس إلى المشرق وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده، توفي بعد أن ملك فيهم 44 سنة².

-أبي غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف (268-297هـ/839-882م):

استولى على الملك وأخذ بدين آباءه واشتدت شوكته وعظم أمره، وكانت له في البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة، منها وقعة تيمغن وكانت مدينة كبيرة أقام في أهلها القتل لمدة ثمانية أيام من الخميس إلى الخميس، وتزوج أبي غفير أربع وأربعون زوجة وكان له من الولد مثلها وأكثر، توفي أبي غفير بعد أن ملك 29 سنة، وكان ذلك في المائة الثالثة من الهجرة³.

-أبو الأئصار عبد الله بن محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف (297-341هـ/909-952م):

اتبع سنن والده، كان كثير الدعوة سخيا وظيفا وفي بالعهد ويكافئ على الهدية بأضعافها، وكان لا يضع العمامة إلا في حالة الحرب، ولا يعتم أحد في بلاده إلا الغرباء منهم، توفي سنة 341هـ/952م، بعدما ملك 42 سنة وولى ابنه المنصور من بعده⁴، ولقد ازدهرت في عهده دولة برغواطة وهابيه ملوك الأدارسة.

¹ - نفسه، ص 136.

² - نفسه، ص 136.

³ - أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص 136، 137.

⁴ - نفسه، 137.

-أبو منصور عيسى بن عبد الله بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف (341-369هـ/952-979م):

تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة لا يتجاوز 22 سنة، واقتفى سيرة آبائه ودان بديانتهم، واشتدت شوكته وعظم سلطانه، وكان أبوه قد أوصاه قبل وفاته بموالة صاحب الأندلس¹، دانت له قبائل المغرب، وكان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطة، وعشرة آلاف من سواهم، قاتله أهل صنهاجة بقيادة بلكين بن زيري في غزوته الطويلة للمغرب الأقصى، حتى تمكن منه وقتله سنة 369هـ/979م².

أما حول نهاية دولة برغواطة، فإن ابن خلدون يقول: أن المرابطين دعوا إلى جهاد برغواطة الذين كانوا بتامسنا وإنفا وجهات الريف الغربي، فكانت لهم فيهم وقائع كثيرة وأيام استشهد في بعضها عبد الله بن ياسين، وكان ذلك سنة 450هـ/1058، ولقد تولى الإمامة بعده في دولة المرابطين سليمان بن حروا ليرجعوا إليه في قضايا دينهم، واستمر أبو بكر بن عمر في إمارة قومه على جهادهم حتى استأصل شأفتهم ومحا أثر دعوتهم من بلاد المغرب³، وعن طريق إحيائهم لسنة الجهاد تمكنوا من إزاحتهم عن عاصمتهم شالة وبلاد تامسنا، فانحصروا إلى دكالة وجهات الرباط وسبتة بعد أن خربوا لهم عدة مدن، ونقلوا عامتهم إلى آزمور، وبعد قيام دولة الموحدين استمروا في غزو بلادهم إلى غاية سنة 541هـ/1147م، وقضوا على دولتهم في إطار توحيد بلاد المغرب كلها والأندلس، وأسكن مواطنهم عبد المؤمن قبائل بني هلال وبني سليم سنة 542هـ/1148م⁴.

¹ - نفسه، ص 137.

² - فيلالي بلقاسم، المرجع السابق، ص 39.

³ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج 6، ص 244.

⁴ - فيلالي بلقاسم، المرجع السابق، ص 40.

-المحاضرة الثالثة: دولة بني مدرار بسجلماسة¹ (140-296هـ/757-909م):

بنو مدرار ملوك سجلماسة أصلهم من قبائل مكناسة، وينتهي نسبهم إلى قبائل البربر البتر الذين هم بنو مادغيس الأبت².

قامت دولة بني مدرار بسجلماسة جنوب المغرب (تافيلالت) اليوم، ولقد جاء قيامها نتيجة ما أثمرته جهود الخوارج في تلك المنطقة التي تمتد من نفوسة إلى وادي درعة، حيث اختاروا تلك الفجاج والشعاب الممتدة عبر الجنوب للمغرب الكبير، وجاء ذلك نتيجة للحملة التي شنّها عليهم الأمويون والعباسيون، وهي حملة شملت الشرق وصولاً إلى بلاد ما وراء النهرين، كما عمت بلاد المغرب أيضاً، لكنها فشلت أمام وعورة الأماكن التي أختارها الدعاة الأولون من الخوارج، الذين ساعدهم على انتشار أفكارهم وتقبلها تذرّ المغاربة من الحكام، خصوصاً في بداية القرن 1هـ/7م زمن فترة حكم الأمويين³.

مؤسس هذه الدولة روحياً ثم عملياً هو الداعية الذي كان متقللاً، وأحد رجالات الخوارج الصفريّة، الزناتي الأصل أبو القاسم سمغون بن واسول، تلميذ عكرمة مولى أبي العباس فهو الذي بدأ دوره كداعية للمذهب بين قبائل البربر البتر مكناسة وصنهاجة، كما قام كذلك بنشر أفكار مذهبه بين القاطنين للمنطقة ما بين ملوية وزيز، حيث توجد اليوم قبائل إزدك، والتي حلت مكان قبائل كروان وتولال⁴.

إن مركز سجلماسة الاستراتيجي جعل منها ملتقى لقبائل متعددة، قام موسى بن نصير بغزوها بجنوده أيام الفتح الإسلامي سنة 40هـ/662م، واستقر فيها من هؤلاء الجنود الذين

¹ - سجلماسة في صحراء المغرب، بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة، وهي على نهر يقال له زيز، وليس بها عين ولا بئر، وزرعهم الدخن والذرة ولهم النخل الكثير، وهي من أعظم مدن المغرب، يسكنها قوم من قبيلة مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان، وهي كثيرة العامر مقصد للوارد والصادر، كثيرة الخضر والجناث، وهي مدينة محدثة بنيت سنة 140هـ، أسسها مدرار بن عبد الله. أنظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، المصدر السابق، ص305.

² - السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص59.

³ - الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج2، شركة نبراس للطباعة، القاهرة، ط1، 2006، ص ص 95، 96.

⁴ - نفسه، ص97.

كانوا يتبعون مذهب قائدهم ثم تنكر لهم بنو أمية، وقد انضاف إليهم من الثوار الذين خرجوا على ابن الحبحاب من بقي عقبهم إلى اليوم، وهم يعرفون عند المؤرخين السجلماسيين بالأنصار الذين هم من الأوس والخزرج أصلاً، كما عرفت عناصر أخرى لم تجد أي مفر من النزوح من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب الشرقي إلى الجنوب الغربي زمن ثورات زناتة مع كتامة شرقاً، ولقد اندمجت مع ما وجد من عناصر صنهاجة في المنطقة، حيث جمع بينهما المذهب، ولم يعودوا يهتموا بأصولهم¹.

توفي أبو القاسم سمكو مؤسس دولة الخوارج الصفرية في سجلماسة (جنوب المغرب) سنة 168هـ، وخلفه ابنه إلياس بن أبي القاسم والذي عرف باسم "أبو الوزير"، واستمرت أيامه حتى سنة 174هـ، وخلفه أخوه اليسع بن أبي القاسم، وبقي في حكم هذه الدولة حتى عام 208هـ، وقد عرف باسم "أبو المنصور"، وقد ثارت الإباضية في أيامه في وادي درعة، ولكنه قضى على ثورتهم وبطش بهم.

وكما هادن الإباضيون ولاية العباسيين في القيروان، كذلك هادنهم الصفرية الذين اتجهوا نحو أوضاعهم الداخلية والاقتصادية حيث كانوا تجاراً بين الشمال والجنوب عبر الصحراء، وكذلك فقد جعلوا الحكم وراثياً كالإباضيين².

كانت الصفرية والإباضية من أكثر المذاهب الخارجية المنتشرة بالمغرب، إلا أنهما من أكثر مذاهب الخوارج تسامحاً واعتدالاً مع مخالفيهم في الرأي، إذا ما قورنوا بفرق الأزارقة والحرورية في المشرق؛ لأن الصفرية والإباضية لم ترضيا إباحة دماء المسلمين، أو جواز سبي النساء والذرية، ولا يريان قتال أحد من الناس سوى جيش السلطان³، فلم يكفروا القاعدين عن القتال، ولم يُسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، ومرتكب الكبيرة عندهم عاصٍ وليس كافراً مشركاً⁴.

¹ - نفسه، ص 97.

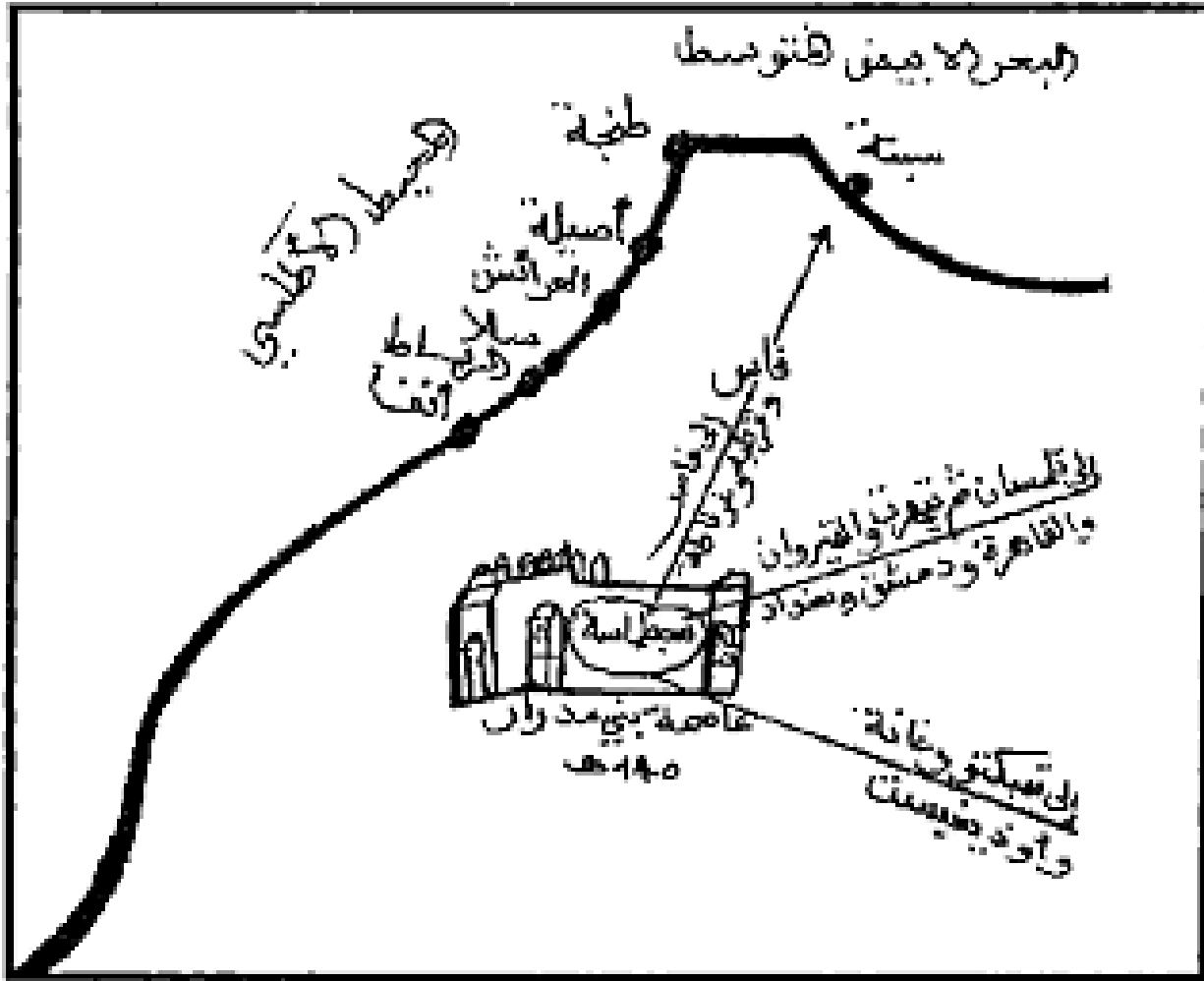
² - شاكر محمود، المرجع السابق، ج 5، ص 161.

³ - أيوب إبراهيم، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص 163.

⁴ - الشكعة مصطفى، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 08، 1991، ص 134.

أما عن حضارتهم فإن مدينة سجلماسة كانت تقع في وسط واحة كبيرة، ذات منطقة خصبة يؤمها المزارعون والرحل لتبادل منتجاتهم، ولقد ساهم هذا الموقع (الذي يربط شمال المغرب ببلاد السودان من جهة، والمشرق الإسلامي من جهة ثانية) من جعل مدينة سجلماسة أن تلعب دوراً ريادياً في تجارة القوافل لمدة طويلة، وهو الأمر الذي جعل إسمها يرتبط بتجارة الذهب، أما من الناحية الاقتصادية فلقد اهتمت الإمارة بالمزروعات وتنظيم الري، كما اهتمت بصناعة الفخار¹.

¹ - شهابي عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص32، 33.



خريطة توضح مدينة سجلماسة عاصمة بني مدرار عن الفيلالي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي.

-المحاضرة الرابعة: الإمارة الرستمية بتيهت (160-296هـ/777-909م):

عرفت بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 2هـ/8م، ظهور عدة دويلات مستقلة، حيث ظهرت دولة الأغلبية في المغرب الأدنى، ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، وظهرت الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، ومن خلال موضوعنا هذا سوف نتطرق إلى الدولة الرستمية. فكيف نشأت هذه الدولة ومن مؤسسها؟ وماهي أهم جوانب تطورها؟.

أ- أوضاع بلاد المغرب قبل قيام الدولة الرستمية:

كان سكان بلاد المغرب عند الفتح الإسلامي على شكل قبائل بدوية، يميزها الإفراط في حب الاستقلال والحرية، وكان يرأس كل قبيلة شيخ القبيلة، شأنهم شأن العرب في جزيرتهم. وكان لهم مع المسلمين الفاتحين مواقف مختلفة، فمنهم فئة معارضة هي عبارة عن طبقة ارتبطت مصالحها مع الروم فتحالفت معهم، ولكن عندما توالى هزائم الروم أمام الجيوش الإسلامية، استغاثوا بالبربر فأعانوهم ونصروهم.

ويمكننا أن نرد هذا التحالف لعدة اعتبارات سياسية واجتماعية ودينية، ثم أخذ هؤلاء المتحالفين يترقبون الفرصة للوثوب على الحكم الإسلامي، وكان ذلك على شكل معارك عسكرية، وتحريض البربر على المقاومة والدخول في الإسلام والانتماء للجماعات الإسلامية المعارضة، وذلك بهدف الإساءة للإسلام والمسلمين¹.

وهناك فئة ثانية وقفت موقفا محايدا لأنها كانت تعرف أن مساعدتها للعرب تعني انتقالها من احتلال لاحتلال، جهلا منها بطبيعة الإسلام. أما الفئة الثالثة فهي التي تشكل غالبية البربر، فرأت في الإسلام سبيلا للانتقال إلى حياة أفضل، فأقبلت تعتقه وتؤيده، وفي هذا الوقت كانت الخلافة ترسل الولاة من بلاد المشرق لإدارة بلاد المغرب وحفظ الأمن ومواصلة الفتح ونشر تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي². لكن هؤلاء أظهروا عجزا مما كان يضطر الوالي أحيانا للاستعفاء، أو تضطر الخلافة لاستبداله، ويبدو أن سوء الحالة الاقتصادية في تلك الفترة قد ظهرت معها ضرائب فادحة، بالإضافة إلى ذلك استمرت الثورات طيلة عهد الولاة، مما يجعلنا نعتقد أن أسباب أبعد كانت وراء هذه الاضطرابات

¹ - جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص 23، 24.

² - نفسه، ص ص 23، 24.

التي كانت سببا في ارتكاب بعض الولاة تصرفات تسببت في إثارة البربر ضدهم، لذلك وبعد ما كانت مقاومة المغرب للعرب ذات طابع رومي، ثم رومي بربري، أصبحت ذات طابع مذهبي في الغالب صفري وإباضي في القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي، أضف إلى هذا ظهور جماعة من العرب البلديين في إفريقية، أخذت نفوسهم تطمح للوصول إلى كرسي مدينة القيروان. وفي ظل هذه الظروف استغل الإباضية هذه الأرضية لبناء دولة وفق مذهبهم¹.

ب- قيام الدولة الرستمية:

1_ نسب الرستميين:

كان انتقال عبد الرحمن بن رستم² إلى بلاد المغرب الأوسط إشعارا ببداية ظهور الدولة الرستمية، التي ما لبثت أن أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل وتكوين أحداث وموازن بلاد المغرب كله، إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ولكن قبل الحديث عن الدولة الرستمية، فيجب علينا الحديث أولا عن مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي أجمعت المصادر على أنه فارسي الأصل³. نشأ في القيروان فتلقى عن علمائها نصيبا وافرا من العلم والمعرفة، وفيها أيضا اتصل بالدعاة الإباضيين، انتقل إلى البصرة سنة 135هـ، حيث أخذ الفقه الإباضي وتشبع بمبادئه، واجتهد فيه على يد الشيخ الإباضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حتى صار أحد حملة المذهب الإباضي في بلاد المغرب⁴.

¹ _ نفسه، ص ص24، 25.

² _ عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام، وبهرام هذا مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو بهرام بن ذو شرار بن سابور ابن بابكان بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي. أنظر: البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب _ جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص67.

³ _ الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي - حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987م، ص73.

⁴ _ فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر _ من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص55.

تنسب إلى عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي، الذي كان تابعا للزعيم الإباضي أبي الخطاب، الذي قتل سنة 144هـ في أحد المعارك، ولما بلغت هذه الأنباء عبد الرحمن بن رستم، فرّ إلى القيروان ليتحصّن بها فامتعت عليه، فاتجه إلى المغرب أين اقبل إليه أنصاره من كل مكان وتقوى جانبه¹، ورأى عبد الرحمن بن رستم بعد مبايعته بالإمامة أن يتخذ لنفسه عاصمة يباشر منها مهام الحكم، وكان عليه أن يوفر لهذه العاصمة كل عناصر الأمن والرخاء، لذا فقد استعان بأهل العلم والخبرة بالأرض، وبدأ الجميع يبحثون في أنحاء البلاد عن مكان يصلح لبناء مدينة تكون عاصمة ملكهم، حتى استحسنوا موضع تاهرت الذي كان يبعد عن الخطر العباسي، بالإضافة كونها منطقة غنية اقتصاديا، فهي تشتهر بمراعيها الواسعة وثرواتها الزراعية المتنوعة، ويرجع ذلك لكثرة مصادر المياه وتنوعها في المنطقة وكان لذلك أثره في دعم اقتصاديات الدولة²، وتم تأسيس مدينة تاهرت سنة 144هـ وأنشأ بها مقر دولته الرستمية³.

تقع مدينة تاهرت في مكان يتوسط التل والصحراء، وهو ما حقق لها السيادة على المنطقة السهبية الشاسعة وما تشمله من طرق تجارية، تمتد غربا إلى المغرب الأقصى، وجنوبا إلى قلب إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، كما أنها تشرف من موقعها على الطريق المار من منطقة التل إلى أسفل وادي شلف المؤدي إلى البحر، ويحد الدولة الرستمية من جهة الشرق مملكة الأغالبة، والأدارسة غربا وشمالا، والصحراء جنوبا، وأحيانا تمتد جذورها ويتسع نفوذها فيصل حكمه إلى طرابلس⁴.

¹ - بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، ص27.

² - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص ص95، 96.

³ - بونار رابح، المرجع السابق، ص27.

⁴ - المرجع نفسه، ص 28.

2- مؤسسها وأئمتها:

أجمع المؤرخون على أن عبد الرحمن بن رستم من أصل فارسي، كان جده بهرام من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه¹، ومنهم من يرفع نسبه إلى ملوك الفرس القدماء ويذكر أن أباه رستم قدم من العراق إلى مكة وبصحبه زوجته وابنه عبد الرحمن لأداء فريضة الحج فمات، فتزوجت امرأته برجل من أهل القيروان حملها وابنها عبد الرحمن معه عند عودته إلى بلده²، وتربى عبد الرحمن بن رستم بالقيروان ودرس على يد كبار علمائها، ومال إلى تعاليم الخوارج، تأثر بسلامة بن سعيد الذي كان يدعو إلى مذهب الإباضية، ولما بلغ سن الشباب رحل إلى البصرة مع بعض إخوانه من المغاربة وهم : عاصم السدراتي، وأبو داود القبلي النغزاوي، وإسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعارفي³، وكان ذلك سنة 135هـ، حيث أخذ الفقه الإباضي وتشبع بمبادئه واجتهد فيه على يد شيخ الإباضية الفقيه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حتى صار أحد حملة المذهب الإباضي إلى إفريقية⁴، وكلهم حماسة لإنشاء دولة على مذهبهم الإباضي، وتمت مبايعة أبي الخطاب بالإمامة وتمكن الإباضية من الاستيلاء على طرابلس، واتخذوها مقرا لهم واختار أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم رفيقا له، وعينه قاضيا بطرابلس ثم شاركه في معركته ضد رجال الصفرية لتخليص مدينة القيروان، حيث نجح في سنة 141هـ - 758م من تحريرها من أيدي الصفرية، ثم عهد إلى عبد الرحمن بن رستم بولايتها، وبقي عبد الرحمن فيها إلى أن قدم محمد بن الأشعث على رأس القوات العباسية، فخرج إليه أبو الخطاب بجيش كبير، وعسكر بهم عند أرض سرت، وأمام كثرة جيش الإباضية أحجم ابن الأشعث عن لقاء الإباضية، فتظاهر بالانسحاب إلى مصر، ثم هاجم معسكر ابن الخطاب فجأة في صفر سنة 144هـ/761م، فانهزم الإباضية وقتل أبو الخطاب⁵، وكان عبد الرحمن

¹ - البكري أبي عبيد، المصدر السابق، ص 67.

² - سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 452.

³ - شهاب نهلة أحمد ، تاريخ المغرب العربي، عمان، ط1، 2010، ص 204.

⁴ - لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الجزائر، ط3، 1984، ص 16.

⁵ - شهاب نهلة أحمد، المرجع السابق، ص 205.

بن رستم يتأهب لنجدة أبي الخطاب، فسمع وهو في طريقه إليه نبأ هزيمة الإباضية ومقتل أبي الخطاب، فعاد أدراجه ومضى إلى المغرب الأوسط حيث لا يصل نفوذ العباسيين، وحيث يتركز انصار الإباضية، وهذا ما مكنه من تأسيس دولة الإباضية¹.

-أئمتها:

كان أمراء هذه الدولة يسمون الأئمة، والمعتقد الإباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة، ولكن أعيان تاهرت رأوا أن يحصروها في أسرة عبد الرحمن بن رستم حتى لا يحصل تنافس بين القبائل، وكان دستورهم هو العمل بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، أما السلطة فتكون بيد الرئيس الذي يلقب بالإمام، الذي يكون لديه أعوان يساعدونه على ذلك وأشهر أئمتهم هم:

1- **عبد الرحمن بن رستم:** (144-168هـ) وهو الأمير المؤسس لهذه الدولة ويعود أصله إلى فارس.

2- **عبد الوهاب بن عبد الرحمن:** (168-188هـ) بويغ بعد وفاة أبيه عبد الرحمن، ووقعت فتن في عهده حيث تمكن من إخمادها بدهائه وسياسته .

3- **أفلح بن عبد الوهاب:** (188-238هـ) بويغ بالإمامة وكان صاحب نفوذ قوي وكانت تاهرت في أيامه هادئة مزدهرة².

4- **أبو بكر بن أفلح:** (238-241هـ) بويغ هذا الأمير من قبل قبيلة نفوسة إحدى قبائل تاهرت، وهي ذات نفوذ سياسي ولم يبايعه غيرها، وكان أدبيا فقيها غير مهتم بالناحية السياسية، بل ترك أمرها لأخيه أبي اليقظان وصهره محمد بن عرفة.

5- **أبو اليقظان محمد بن أفلح:** (241-281هـ) كان قبل توليته الإمامة قد ذهب إلى الحج في أيام والده فسجنه الوراق الخليفة العباسي مع أخيه المتوكل، بعدها سمح له بتولي الإمارة وبقي أربعين سنة بعدها توفي سنة 281هـ.

6- **أبو حاتم يوسف:** (281-294هـ) كان كثير المروءة واسع الإحسان محبوبا لدى العامة وبعد مبايعته اضطربت عليه الأمور وقتل سنة 294هـ.

¹ - سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 451-452.

² - بونار رابح، المرجع السابق، ص 28.

7- **اليقظان بن أبي اليقظان:** (294-296هـ) بويغ بعد مقتل أخيه أبي حاتم، ولم يتمتع بالملك طويلا، حيث قتل سنة 296 هـ¹.

ج. نظام الحكم والإدارة:

اتسم نظام الحكم في بداية قيام الدولة الرستمية بالبساطة الشديدة، فاتخذ حاكم الدولة لنفسه لقب إمام، وأصبح رئيس الدولة مصدرا لجميع السلطات دينية كانت أم سياسية، ويظهر ذلك من خلال حوار البيعة الذي دار بين رؤساء الاباضية وشيوخهم، وبين عبد الرحمن بن رستم، وقد راعى رؤساء الاباضية وشيوخهم عندما اختاروا عبد الرحمن بن رستم إماما للدولة كل القواعد التي قننت في المذهب الإباضي حول اختيار رئيس الدولة، وطبقوا شروط البيعة تطبيقا يكاد يكون حرفيا، واتفق رأي الرؤساء على عبد الرحمن لكونه من حملة العلم ولأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل، ويبدو أن فقهاء الاباضية أرادوا أن يضعوا شروطا مثالية لاختيار إمام دولتهم، وكان العلم شرط أساسي يجب توفره في الشخص المترشح للإمامة².

وتعني هذه القواعد السابقة تطور واضح في بناء الفكر السياسي للخوارج في بلاد المغرب، فقد تطرق إلى مبدأ الانتخاب العام الذي اشتهرت به الخوارج، بعض المؤثرات كتسلل فكرة التعيين أو الوصية، التي ازدهرت في المشرق الإسلامي لدى الشيعة إلى نظام الحكم في الدولة الرستمية، فبدأت هذه المؤثرات بسيطة أول الأمر في ذهن الإباضية، حيث كانت متمثلة في أن عبد الرحمن بن رستم كان عاملا لأبي الخطاب على القيروان في إفريقية، وتطورت هذه الفكرة إلى أن أصبحت في الدولة الرستمية فكرة توريث مطلق، وذلك يؤكد فكرة التوريث والتعيين على مبدأ الانتخاب العام، ويعني التغلب على الطابع الديني في نظم الحكم الرستمية، وتحول الإمامة الرستمية إلى سلطة مركزية أشبه ما تكون بالملكية المطلقة، فعبد الرحمن بن رستم حين أحس بدنو أجله اقتدى بالخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فاختر سبعة من كبار رجال دولته من أهل التقوى والصلاح، وكان من بينهم ابنه عبد الوهاب وأوصاهم بالاجتماع والتشاور لاختيار إمام من بينهم. وكان الاحتفاظ بأبناء البيت الرستمي على رأس هذه الدولة سبيلا إلى احتفاظهم بمكانتهم، والملاحظ أنه في

¹ - بونار رابح، المرجع السابق، ص 29.

² - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص 224.

عصر الأئمة الرستميين الأقوياء حرص هؤلاء على التعيين أو الوصية لأبنائهم، فعبد الرحمن بن رستم عين ولده عبد الوهاب ضمن السبعة المرشحين للإمامة، وعبد الوهاب أوصى صراحة بالإمامة لابنه افلح، أما في عهد الأئمة الضعاف فلم يعد الأمر في حاجة إلى الوصية أو التعيين، لأن الأمر كان بيد القبائل وجماعات العجم والفرس، وأخذت الدولة الرستمية منذ قيامها بالأساليب المعروفة لإدارة الدول، وإن غلب على هذه الأساليب طابع البساطة وأوضاع القبائل التي حكمت الدولة غلب على معظمها الطابع البدوي، فقد وضع عبد الرحمن بن رستم نظاما بسيطا للقضاء والشرطة وجباية الأموال والصدقات، وسار الرستميون على سنن المشاركة في كافة النظم الإدارية الأخرى التي تكفل بضبط الأمور في دولتها فأنشأوا جهازا للشرطة يقوم بأعمال الحراسة والمحافظة على الأمن، وأقاموا نظاما يتمتع القضاء في ظلّه بالنزاهة التامة وحظوا بالاحترام الكامل من قبل الأئمة، حيث لم يسمح هؤلاء القضاء لأحد بأن يتدخل في شؤونهم، وفضلا عن ذلك اتخذ الرستميون الوزراء والكتاب والحراس ونظام السجلات والخاتم كلها نظم ورسوم تأثرت إلى حد كبير بالتقاليد الفارسية في الإدارة والحكم ومن أشهر الوزراء الذين تقلدوا هذا المنصب السمح بن أبي الخطاب ومحمد بن عرفة¹.

د. الحياة الاقتصادية:

شهدت بلاد المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية، ازدهارا تجاريا كبيرا ونموا عظيما في حركة الاقتصاد، حيث ساعد استقرار هذه المناطق تحت حكم الرستميين على ازدهارها بعد معاناتها زمنا طويلا من عدم الاستقرار الاقتصادي بسبب الاضطرابات، وباستقرار الأوضاع السياسية سارت عناصر الحياة الاقتصادية المتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة في طريقها نحو التحسن، حيث كان يمتلك الرستميون مساحات كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة، بالإضافة توفرها على الوديان ومجاري المياه التي تحيط بعاصمتها تاهرت، وكانت أهم المزروعات التي جادت في المنطقة الكتان والسمسم والحبوب، كما نشطت الزراعة أيضا في الواحات والمدن الصحراوية فاشتهرت واحة

¹ - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص 225 - 230.

ورجلان (ورقلة حاليا) بغابات النخيل الواسعة، وانتشرت النطاقات الرعوية الشاسعة التي دعمت اقتصاد الدولة بثروة حيوانية وفيرة¹.

أما بالنسبة للصناعة فهي الأخرى كانت موجودة في المجتمع الرستمي لتلبي حاجات أفرادهم، وكان لتوفر المواد الخام اللازمة لمختلف الصناعات أثره في وفرتها، فاشتهرت بصناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها الصوفية والكتانية والحريرية، وهذا نتيجة لتوفر خامات الصوف والكتان من المراعي والمزارع، واشتهرت قابس بصناعة دبغ الجلود، كما تعددت المناجم التي أمدت الصناع بحاجاتهم ولوازم صناعتهم ففي جبل ارزو توفر معدن الحديد وخشب العطور، وعرف الرستميون الصناعة الفخارية، والتي تمثلت في صناعة الأواني الفخارية والخزف، وخاصة ما كان يستعمل من هذه الأواني لغرس الأزهار، وقام الرستميون بدور بارز في مجال التجارة حيث لم تعق الخلافات السياسية والمذهبية بين الرستميين وجيرانهم حركة التجارة، ومما أعطى دفعة قوية في هذا المجال وقوع عاصمتهم تاهرت على طريقيين من أشهر الطرق التجارية، طريق الشرق والغرب، وطريق الشمال والجنوب، إذ هيا لها ذلك أن تكون مركزا للتبادل التجاري بين بلاد السودان والمغرب والمشرق وسواحل البحر المتوسط².

كانت تاهرت مركزا تجاريا داخليا، وكانت ابرز العلاقات التجارية في عهد الرستميين قائمة بينهم وبين الأمويين والأندلس والسودان، حيث قام الرستميون بدور الوسيط التجاري بين الطرفين، وأهم البضائع التي كان يصدرها الرستميون إلى الأندلس هي الحبوب، وأشهر السلع التي نقلها الرستميون من بلاد السودان الذهب والعاج وريش النعام وجلود الحيوانات. وقد جعلت هذه الحركة التجارية النشطة من تاهرت عاصمة قوية متألفة بين حواضر المغرب الكبرى³.

¹ - نفسه، ص 231.

² - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص 231، 232.

³ - نفسه، ص 234.

هـ- الحياة الفكرية:

ارتبطت الجانب الفكري في عصر بني رستم ارتباطا كبيرا بالمذهب الإباضي، وكان داعية الإباضية الأول سلمة بن سعيد قد تكمن من اختيار أربعة من معتقي أفكاره الإباضية، وأطلق عليهم اسم حملة العلم، ووفدت هذه الجماعة إلى البصرة لتلقي العلم على يد داعية الإباضية الأكبر أبي عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة، وحين عودة هذه الجماعة إلى بلاد المغرب بدأت في نشر ثقافة المذهب الإباضي في حلقاتهم، حيث انتشرت في جهات المغرب الأدنى وإفريقية، ولقن حملة العلم أتباعهم علم الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وعلوم اللغة والفلك والرياضيات، ومنذ ذلك الوقت طغت شؤون الدعوة الإباضية على الحياة الفكرية في بلاد المغرب الأوسط، وخلقت مجالا واسعا للتنافس بين أتباع المذهب الإباضي، وبين الفرق والمذاهب الأخرى كالسنة والمالكية والمعتزلة والشيعة، وقد أفسح الرستميون المجال لهذه الفرق والمذاهب فعقدت المناظرات بين علماء الإباضية والمعتزلة، وقد أدى نشاط الحركة الفكرية على هذا النحو إلى أن يتجه الرستميون إلى توثيق علاقتهم الثقافية بمختلف البيئات العلمية، والاحتكاك بمراكز الثقافة سواء في المغرب والأندلس أو في المشرق¹.

كما حرص بنو رستم على تأسيس مكتبة ضخمة أطلق عليها اسم المعصومة حوت على ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب وقد قام الشيعة بحرقها لتدمير كل اثر للفكر الإباضي المعادي لهم كما كرس الأئمة الرستميين حياتهم لنشر العلم في المجتمع الإباضي وكان العلم شرطا أساسيا لتولي الإمامة، وكان بعضهم ويقوم بالتدريس في جامع تاهرت، كما اشتركوا في حركة التأليف فنابغ عدد كبير من العلماء في العصر الرستمي، وكان شيوخ المذهب منهم يمثلون فئة اجتماعية ذات شأن كبير في تاهرت، كما شاركت المرأة الرستمية في الحركة الفكرية فكانت أخت الإمام افلح بن عبد الوهاب عالمة بالحساب والفلك.

ومن بين المراكز العلمية الهامة في الدولة الرستمية غير مدينة تاهرت مدينة شروس ومدينة جادو وقرية اجناون وجزيرة جربة، وقد أتاح تعايش العلماء على اختلاف مذاهبهم

¹ - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص ص 233-236.

وأفكارهم في تاهرت الفرصة لتكوين مدرسة لها معالمها الخاصة وسماتها الواضحة في تاريخ الفكر الإسلامي في بلاد المغرب¹، فأصبحت بذلك عاصمة للعلم والفكر والثقافة تشع بنور علمها على شمال إفريقيا وغربها وشرقها وفي جنوب شبه الجزيرة العربية²، والحضارة الرستمية العربية قد تأثرت بحضارات فارسية وفينيقية سابقة³.

و - علاقتها بجيرانها وأسباب سقوطها:

-علاقتها بجيرانها:

لقد كانت علاقة الدولة الرستمية مع الخلافة العباسية متوترة، حيث انه بعدما انشأ عبد الرحمن بن رستم دولته الفتية، التي اختار لها موقعا حصينا لم يحاول ولاية إفريقية مهاجمتها بعد ابن الأشعث الذي رفع الحصار على جبل بسوفجج معقل عبد الرحمن بن رستم سنة 144هـ الموافق 761م، وعلى الرغم من تمكن عمر بن حفص من إنزال الهزيمة بجيش ابن رستم بالقرب من تهودة سنة 151هـ/ 768 م، إلا أنه لم يفكر بعد في مهاجمة تاهرت فعاد إلى القيروان، وبمرور الزمن استطاع عبد الرحمن بن رستم أن يثبت أركان دولته، فهاهه روح بن حاتم ورغب في مهادنة بن رستم فهادنه سنة 171 هـ/ 787م، كما وادع ابنه عبد الوهاب من بعده⁴.

ولما قامت دولة الأغالبة استمر الهدوء سائدا بين تاهرت والقيروان، حتى أفسده عبد الوهاب بن رستم عندما هاجم طرابلس سنة 196هـ/811م، على أن الهدوء الذي ساد العلاقات بين الطرفين خلال هذه الفترة، لا يعني أن العباسيين قد غيروا من موقفهم تجاه الرستميين، لأن محاولاتهم الرامية إلى القضاء على الخوارج في المغرب الأوسط لم تتوقف، على الرغم من أن هذا الهدف أصبح من أولى مهمات الأغالبة، الذين أقاموا دولتهم بدعم وتأيد من الخلافة العباسية ليقفوا في وجه أعدائها ويحاولوا دون تقدمهم نحو الشرق، وقد حرصت الخلافة العباسية على إثارة المشاكل في وجه الدولة الرستمية في تاهرت وشجعت

¹ - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص ص237، 238.

² - فركوس صالح، المرجع السابق، ص58.

³ - بونار رابح، المرجع السابق، ص33.

⁴ - سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص481.

حركات التمرد ضدهم، كما حدث في عهد افلح بن عبد الوهاب، لكن في المقابل فإن سياسة الرستميين وأهدافهم التوسعية في بلاد المغرب، لا تحتاج إلى دليل فقد قاموا بفرض نفوذهم على المناطق المجاورة لطرابلس، كما قاموا بإحراق مدينة العباسية التي قام ببنائها محمد بن الأغلب سنة 227هـ/841م، كما حرصوا على إثارة القلاقل في وجه أمراء القيروان وعقد التحالفات مع الأمويين في الأندلس¹.

أما عن علاقة الدولة الرستمية مع دولة بني مدرار، فقد التقت أهدافهما واشتركت في عدائهم المشترك للخلافة العباسية، وتوطدت بينهم المودة والصداقة وزادت هذه الروابط وثاقة وإحكاما منذ أن زوج اليسع بن اليابس، ابنه مدرار من أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم².

أما بالنسبة لطبيعة العلاقات بين الأدارسة والرستميين، فإن الاختلاف المذهبي والعداء التقليدي الموروث بين العلويين والخوارج، كان من أهم عوامل التوتر بين الدولتين، هذا فضلا عن العامل الجغرافي الذي أسهم في حدة الخلاف بين الرستميين والأدارسة، حيث كانت حدودهما متداخلة مما جعل من الصعوبة تحديد انتماء بعض القبائل التي كانت تعيش تارة في كنف الدولة الرستمية، وتارة أخرى تحول انتماؤها إلى الأدارسة، وقد لعبت تلمسان دورا مهما في النزاع بين الرستميين والأدارسة بسبب موقعها الاستراتيجي على الحدود، الذي أصبح موضع تنافس بين الدولتين، كما اتسمت العلاقة بين الدولة الرستمية والدولة الأموية بالأندلس بأنها علاقة مودة وصداقة على الرغم من الخلاف المذهبي بين الدولتين، إذ أنه توجد أسباب وراء ذلك، وهي المتمثلة العداء المشترك لكلا الدولتين اتجاه الخلافة العباسية، فضلا عن ذلك قيام دولتي الأغالبة والأدارسة في المغربين الأدنى والأقصى، قد أغلق المغرب بوجه الأمويين في الأندلس، لذلك حرصوا على توثيق علاقتهم مع الرستميين في تاهرت، وكان الهدف من ذلك هو إضعاف أعدائهم الأدارسة من جهة، وتأمين استمرار اتصال الأندلس بالشرق من جهة أخرى. وقد انعكست علاقة الصداقة والمودة بين الدولتين على الناحية الاقتصادية، التي شهدت نشاطا ملحوظا خلال هذه الحقبة، وللتعبير عن علاقات المودة والصداقة بين الدولتين تبادل الطرفان الهدايا النفيسة، وقد بلغت العلاقات بين الدولتين

¹ - نهلة شهاب أحمد، المرجع السابق، ص 211.

² - البكري أبي عبيد، المصدر السابق، ص 149.

ذروتها في عهد الإمام أبي اليقظان محمد بن افلح، الذي قامت بينه وبين الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، علاقات متينة فكان ابو اليقظان لا يقدم ويؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأيه¹.

-أسباب سقوطها:

لم يتمتع اليقظان في عهده طويلا، حيث سادت فيه الفتن السياسية، والأحوال المتدهورة وزحفت عليه جيوش الشيعة الفاطميين في سنة 296 هـ، فقتلته مع طائفة من أفراد أسرته، وبقتله انقرضت هذه الدولة من مدينة تاهرت، أما باقي أفرادها فقد التجأوا إلى الصحراء، ومن بين أسباب ضعف هذه الإمارة هو اختلاف شيعتها، واشتداد روح العصبية لقبائلها كما تعود لتمكّن الخلافات المذهبية بين رعاياها، فقد كان فيها إباضية وصفرية وسنية وغيرها²، حيث لما جاء الشيعة إلى تاهرت وجدوا المدينة فاقدة لكل قوة، وفي المقابل كانت قوة الشيعة الجارفة من أكبر عوامل انقراضها، وانقراض جميع الإمارات الصغيرة، والدويلات بإفريقية والمغرب وغيرها³، والخلاف والشقاق بين أئمتها على الحكم أخذت بذلك الدعوة الشيعية تنتشر لصالح العبيديين الفاطميين، وبذلك انتهى أمراء الدولة الرستمية وتشنت الإباضية في كل مكان، وعلى إثرها سقطت الدولة الرستمية سنة 296هـ/ 909م⁴.

¹ - نهلة شهاب أحمد، المرجع السابق، ص ص212، 213.

² - الملي مبارك، تاريخ الجزائر الحديث في القديم، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976، ص87.

³ - بونار رابح، المرجع السابق، ص29.

⁴ - فركوس صالح، المرجع السابق، ص58.

-المحاضرة الخامسة: الدولة الإدريسية بفاس (172-375هـ/788-985م):

أ. نشأة الدولة الإدريسية:

كان العلويون يرون أحقيتهم في الخلافة، لذلك ثار محمد (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه- في المدينة المنورة ضد العباسيين، لكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تمكن من قتله، وكان ذلك سنة 145هـ/762م¹.

وكان إدريس بن عبد الله بن علي بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه²، قد نجا مع من نجا من آل البيت في وقعة فخ³، حيث قتل فيها بني العباس آل البيت بمكة سنة 169هـ/785م، وفرّ متكرراً مع الحجاج إلى المغرب عبر مصر مع مولاه راشد، وكان على بريد واضح مولى صالح بن المنصور، فحمّله على البريد إلى الغرب، فوقع بحومة بلاد طنجة، ثم إلى بلد وليلة، واستجاب له قبائل البربر، وعلا أمره وشاع خبره⁴، ووصل خبر واضح إلى الرشيد فأمر بقتله وصلبه⁵، ولما وصل إدريس إلى بلد وليلة نزل على صاحبها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي، فبالغ في طاعته وإكرامه، وكان ذلك سنة 172هـ/788م، فأقام عنده وأصبح الناس يأتون إليه، إلى أن بايعته جميع قبائل البربر، وبعد مبايعته وتمكن سلطانه، اتخذ جيشاً عظيماً من قبائل البربر، وخرج بهم إلى بلاد تامسنا وفتح شالة وسائر تلك الحصون⁶، ودخل كثيراً من أهل هذه البلاد الإسلام، ثم عاد عاد إلى "وليلي"، وكان ذلك سنة 172هـ/789م، ثم عاود حملته عازماً على دعوة من بقي من قبائل البربر إلى الإسلام، ونجح في إخضاع قبائل: ومديونة وبهلولة وغيرها من القبائل البربرية التي كانت متحصنة بالجنال والحصون المنيعّة، ثم رجع إلى مدينة وليلي سنة 173هـ/789م، أقام إدريس بن عبد الله شهراً في وليلي، ثم عاود الفتح، واتجه هذه المرة

¹ - شهابي عبد العزيز، المرجع السابق، ص38.

² - بن أبي زرع علي، المصدر السابق، ص23.

³ - نفسه، ص19.

⁴ - الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: ابن منصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991، ص ص11، 12.

⁵ - السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص67.

⁶ - الجزنائي علي، المصدر السابق، ص ص12، 13.

ناحية الشرق، عازماً على توسيع ملكه في المغرب الأوسط على حساب الدولة العباسية، فخرج سنة 173هـ/789م متجهاً نحو تلمسان، وفي أثناء زحفه استولى على مدينة "سبتة"، ولم يكد يصل إلى "تلمسان" حتى خرج إليه صاحبها "محمد بن خرز"، وأعلن خضوعه له دون قتال، وبإيعاد إدريس بن عبد الله، وتبعته قبائل: مغراوة وبني يفرده¹.

ولم تكد تصل هذه الفتوحات إلى عاصمة الخلافة العباسية حتى فزع الخليفة هارون الرشيد، وشعر بالقلق والذعر من النجاح الذي يحققه إدريس بن عبد الله، الذي نجح فيما فشل فيه غيره من أبناء البيت العلوي؛ فلأول مرة ينجحون في إقامة دولة لهم بعد إخفاقات عديدة ومأساة دامية، ثم اشتد خوف الخليفة العباسي حين جاءت الأخبار بعزم إدريس بن عبد الله على غزو إفريقية (تونس)، ففكر في إرسال جيش لمحاربة هذا العلوي المظفر، ثم فكر في الاحتيال بقتله، فبعث إليه من يقتله فاختار رجل يدعى سليمان بن جرير فحمل السم ومضى إلى المغرب ودخل في خدمة إدريس حتى كسب ثقته، وفي يوم من الأيام تحيل عليه بكارورة عطر كانت تحتوي على السم، فلما استنشق ذلك العط فتوفي إدريس بن عبد الله سنة 177هـ/793م، ودفن خارج باب وليلة²، بعد أن نجح في تحدي الصعوبات، وأقام دولة عُرفت باسمه "دولة الأدارسة" بعيداً عن وطنه بين قبائل متطاحنة تعتر بعنصريتها، وتتخذ من قوتها وسيلة لفرض سيطرتها على من حولها.

¹ - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004، ص 125، 127.

² - نفسه، ص 127، 128.

ب. -أمراء الأدارسة:

-إدريس الثاني (177 - 213 هـ = 793 - 828م):

استمر إدريس الأول في حكمه حتى توفي عام 177هـ/ 793م؛ حيث مات مسموماً فخلفه ابنه إدريس الثاني الذي كان جنيماً في بطن أمه عندما مات أبوه، وقام بشؤون البربر مولى أبيه (راشد)، فلما قُتِلَ راشد كفل إدريس أبو خالد يزيد بن إلياس العبدى - أحد شيوخ البربر - حتى كَبُرَ إدريس فتولَّى الأمر بوصاية أبي خالد عام 188هـ/ 804م¹.

وفي سنة 192هـ/ 808م، بدأ إدريس الثاني يحكم مستقلاً بنفسه، وعقب ذلك مباشرة نجد الكثير من المهاجرين العرب يفدون على إدريس من القيروان خاصة، ويدخلون في خدمته، ويتجه نظره إلى الخروج من ويلي، ربما لأنه كان يريد التحلُّ من سلطان قبيلة أوربة، فدَّله أتباعه على وادٍ يصلح لمدينة على أحد فروع نهر (سبو) بين جبلين، يُسمَّى وادي فاس فأنشأ فيه بلدة صغيرة، سميت "عدوة ربض القرويين"، ثم وفدت جماعة من مهاجرة قرطبة، وأنشأوا قرية مجاورة عرفت باسم "عدوة الأندلسيين"، ومن العدوتين تكونت مدينة فاس، وابتنى إدريس لنفسه داراً في عدوة القرويين وشرع في إنشاء مسجد فاس الجامع، وانتقل إلى فاس وأصبحت عاصمة دولة الأدارسة ابتداءً من سنة 196هـ/ 811م، وبهذا نجد أن الدولة الإدريسية دخلت في الدور الحاسم من تاريخها، وابتداءً من سنة 197هـ، 812م، بدأ إدريس سلسلة حملات ثبَّتت سلطان الدولة من تلمسان إلى ساحل المحيط الأطلسي، ونشط لحرب الخوارج في جبال أطلس، ودارت حروب طويلة بينه وبين البرغواطيين، وفي هذا الدور من تاريخ الأدارسة حمل العبد رجال قبيلتي أوربة وغمارة بشكل خاص. ثم توفي إدريس الثاني عام 213هـ = 828م بعد أن ثبَّت دعائم الدولة بعد حروب طويلة ومؤامرات خطيرة من جانب منافسيه من بني الأغلب خاصة².

¹ - شاكِر محمود، المرجع السابق، ج5، 163.

² - مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص128، 129.

- محمد بن إدريس الثاني (213-221هـ/828-836):

بعد وفاة إدريس الثاني خلفه ابنه الذي كان يتصرف تصرفاً غريباً وغير معقول، فيقوم بناءً على نصيحة جدته (كنزة) بتقسيم الدولة بين إخوته الكثيرين، وكان المعقول أن يقيمهم عمالاً أو ممثلين للدولة، ولكنه أعطاهم نواحي الدولة إقطاعات ينفرد كل منهم بناحية منها؛ فأعطى القاسم طنجة وما يليها، وأعطى عمر صنهاجة الهبط وغمارة، وأعطى داوود هوارة تاملت، وولى عيسى ويحي وعبد الله بلادا آخر، وبقي الصغار من إخوته، فنار عليه عيسى، ونكت طاعته، فكتب الأمير محمد بن إدريس إلى أخيه القاسم، يأمره بمحاربته، فامتنع، وكتب أيضاً إلى أخيه عمر فأجابه وسارع إلى نصرته، وكان تقدّم بين عمر وعيسى تنازع، فكان هذا سبباً في ضعف الدولة وهي بعد لم يكتمل نموها، ومع أن محمد بن إدريس احتفظ لنفسه بالرياسة واعتبر إخوته أتباعاً له، إلا أن بعض الإخوة اتجه إلى الاستقلال بناحيته متجاهلاً أن قوة الدولة الإدريسية تكمن في ترابط رؤسائها¹.

- علي بن محمد بن إدريس (221-234هـ/836-848م):

توفي محمد بن إدريس الثاني عام 221هـ/836م، فخلفه ابنه علي بن محمد، وكان عمره تسع سنوات عندما تولّى الحكم، ولقب باسم حيدرة، وحيدرة لقب كان يطلق على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - ومعناه الأسد، واستمر في الحكم ثلاث عشرة سنة، ولم يحدث في أيامه ما يستحق الذكر، فقد حكم تحت وصاية أقاربه ورجال الدولة حتى توفي سنة 234هـ/848م².

- يحي بن محمد بن إدريس (234-245هـ/848-859):

بعد وفاة علي بن محمد خلفه أخوه يحيى الأول، وفي عهد يحيى هذا بلغت فاس أوجها أيام الأدارسة، حيث عظمت دولتها، فقامت فيها المنشآت الكثيرة، وبنيت بها الحمامات والفنادق، وامتدت على سفوح الجبال، ورحل إليها الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب، وأنشئ جامع القرويين بفاس، حيث بنته امرأة قيروانية اسمها فاطمة بنت محمد

¹ - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص211.

² - شاكر محمود، المرجع السابق، ج5، ص208.

الفهري، والتي كانت تكنى بأم البنين، شرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه سنة 245هـ/859م¹.

يحي بن يحي بن محمد بن إدريس:

لما توفي يحي بن محمد، تولى الأمر من بعده ابنه يحي بن يحي بن محمد ابن إدريس الذي أساء السيرة وكثر عيئه في الحرم، حيث دخل على جارية يهودية وهي في الحمام، وكانت بارعة الجمال فراودها عن نفسها، فاستغاثت وبادر الناس إليه بالإنكار، وثابت العامة عليه، فأشارت عليه زوجته بالاختباء ريثما تهدأ الفتنة بعدوة الأندلس، فتوارى بها فمات من ليلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار، وبعد هذه الحادثة استولى عبد الرحمن بن أبي سهل على فاس وقام بأمرها، فكتبت عاتكة بنت علي إلى أبيها تعلمه بالخبر، واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي، فجمع حشمه وجيشه وجاء إلى فاس فاستولى عليها، وانقطع الملك من عقب محمد بن إدريس، وصار بعد هذا تارة يكون في عقب عمر بن إدريس صاحب الريف، وتارة يكون في عقب القاسم بن إدريس الزاهد².

وكانت إمارة الأدارسة تعيش خلافات شديدة؛ إذ كانت تخضع تارة لحكم صاحب الريف علي بن عمر بن إدريس، وتارة لحكم أولاد القاسم بن إدريس إضافة إلى ثورة عبد الرازق الفهري أحد زعماء الخوارج الصفرية الذي أجبر علي بن عمر بن إدريس على الفرار إلى قبيلة أوربة، ولكن أهل فاس استدعوا ابن أخيه وهو يحيى الثالث بن القاسم بن إدريس وبايعوه، وبقي طيلة وقته يقاتل الخوارج حتى قتله الربيع بن سليمان عام 292هـ/905م³، وعاشت دولة الأدارسة في فوضى واضطراب بسبب القتال بين أبناء إدريس والخوارج الصفرية، وبسبب هذه الحروب ساءت الحالة الاقتصادية والاجتماعية للدولة⁴.

وبعد أن اغتيل يحيى الثالث بن القاسم تولى أمر الأدارسة يحيى الرابع بن إدريس بن عمر بن إدريس وامتد سلطانه على بلاد المغرب الأقصى كلها، وكان عظيم القدر، عادلاً في

¹ - السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص ص76، 77.

² - نفسه، ص78.

³ - شاكر محمود، المرجع السابق، ج6، ص51.

⁴ - نفسه، ص94.

رعيته، كثير الفضل، بطلاً شجاعاً، ذا بيان وفصاحة، حافظاً للحديث، فقيهاً، صاحب دين وورع¹.

ت. نهاية الأدارسة:

غزا دولة الأدارسة عام 300هـ قائد العبيديين مصالة بن حبوس، وقرب مدينة مكناس، التقى به الأمير يحيى فهزم في هذه المعركة الأدارسة، وحاصر مدينة فاس العبيدين، وهو الأمر الذي دفع بيحيى إلى الصلح مع دفع مبلغ من المال، وأن يعلن البيعة لعبيد الله المهدي فتم ذلك سنة 303هـ، وبموجب هذا الأمر أصبح مصالة بن حبوس أمير فاس، وابن عمه موسى بن أبي العافية أميراً على بلاد المغرب الأقصى، ولما رجع مالة بن حبوس سنة 309هـ إلى فاس، قام موسى بن أبي العافية بإلقاء القبض على يحيى بن إدريس، وقام بنفيه إلى بلاد الريف، ثم قام بسجنه، ثم أطلق سراحه بعد 20 سنة، فقصد بلدة المهدية عاصمة العبيديين فمات بها سنة 332هـ².

وعندما اعتقل يحيى بن إدريس ولى مالة بن حبوس ريحان الكتامي على فاس، ولكنه لم يلبث كثيراً لأن الحسن بن محمد بن القاسم ثار عليه سنة 310هـ واستولى على فاس، وقتل ريحان وأخذ البيعة من الناس، وشرع في قتال موسى بن أبي العافية، غير أن الحسن وافته المنية سنة 312هـ، واستولى بذلك موسى على دولة الأدارسة الذين لجأ أكثرهم إلى بلاد الريف، وأصبحوا زعماء فيها، وبهذا فقد كانت نهاية الدولة الإدريسية³.

¹ - شاکر محمود، المرجع السابق، ج 6، ص ص 111، 112.

² - نفسه، ص 112.

³ - نفسه، ص 112.

-المحاضرة السادسة: الأغلبية الدولة الأغلبية بالقيروان (184-296هـ/800-908م):

أ. ظروف النشأة:

كانت ولاية المغرب الأدنى في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، تحت إمارة محمد بن مقاتل العكي - رضيع هارون الرشيد - فهو الذي كان يومئذ أميراً بالقيروان وبيده زمام هذه الولاية العربية بإفريقية، وكان لسوء سلوكه مع الرعية وحيفه واستبداده وجوره أن كرهه الناس وثاروا ضده سنة 183هـ - 799م، ومعهم يومئذ عامل تونس تمام بن تميم، فانهزم ابن مقاتل وحاول الفرار من الثائرين إلى دار الإمارة بالقيروان، فحال الناس بينه وبينها فخرج يومئذ على مدينة طبنة عاصمة الزاب الجزائري مستجداً بعاملها إبراهيم ابن الأغلب بن سالم التميمي، فأخذ بيده العامل وخرج معه إلى قمع هؤلاء الناقمين فهزمهم وكسر من شوكتهم، وعاد الأمير منتصراً إلى مركزه بالقيروان¹. ولكن إلى متى سيكون إنقاذ هذا الحاكم السيئ، من شعبه الحانق عليه والمنزعج منه²؟ ولأن محمد بن مقاتل العكي لم يكن حاكماً رشيداً بل كان ظالماً وطاغياً³ مسيئاً لمعاملة جنده، قاطعاً عنهم رواتبهم⁴. بالإضافة إلى الأهالي الذين كرهوا حكمه ورفضوا إعلان الولاء والطاعة له طلبوا من إبراهيم ابن الأغلب أن يتولى هو شؤونهم فكتب بذلك إلى الخليفة هارون الرشيد الذي أجاب رغبته ورغبتهم، وكافاه على حسن بلائه وجهوده وعقد له ولأبنائه من بعده خلفاً عن سلف، بولاية العهد على إفريقية مقابل خراج سنوي تدفعه إمارته إلى الخليفة ببغداد مقداره 40 ألف دينار وذلك سنة 184هـ (800م)⁵.

¹ - الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ج1، ص 259.

² - مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيك، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية، 1991، ص 65.

³ - بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ج1، ص 136.

⁴ - القيرواني الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، ط1، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 27.

⁵ - بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص 136.

وهكذا أصبح حكم المغرب الأدنى بين أيدي الأغالبة.

أصل الأغالبة:

الأغالبة هم أسرة مستتيرة حكمت منطقة إفريقية طوال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي¹، تنسب إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة بن سواده التميمي من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم التميمي وكان واليا لإفريقية سنة 148هـ، من قبل موسى الهادي وأبي جعفر المنصور². مؤسسها هو إبراهيم ابن الأغلب بن سالم التميمي الذي ثبته الرشيد في ولاية إفريقية سنة 184هـ³.

تتحدّر أسرة الأغالبة من تميمي فارس الذين لهم الباع الطويل في الفتوحات الإسلامية هناك، وبالتحديد من أهل مرو الروذ من خراسان⁴، كما يمكننا القول بأنها أسرة عربية راقية عملت على نشر بذور الحضارة الإسلامية في البلاد التي خضعت لنفوذها أي في إفريقية وصقلية وأقام أمراؤها المدن والقصور وشيدوا المساجد والحصون وشجعوا الآداب والفنون⁵.

ب. تأسيس الدولة الأغلبية:

لما استوثق الأمر لمحمد بن مقاتل، كره أهل البلاد ولايته وداخلوا إبراهيم ابن الأغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم⁶، فكتب إبراهيم الخليفة في ذلك ملتزما له بدفع 40 ألف دينار سنويا إلى دار الخلافة ببغداد وإسقاط ما كانت تتقاضاه هذه الإمارة من النفقات (100 ألف دينار) من خزينة الدولة العباسية، لتتفق بمصالح إفريقية وأن يتولى إبراهيم قبض الخراج والجزية وسائر الضرائب، وينفق منها في مصالح الدولة بالمغرب ما يشاء⁷.

¹ - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990، ص 122.

² - [http://: www.arabdna.net](http://www.arabdna.net)، يوم: 2014/01/01، الساعة: 20:20.

³ - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 122.

⁴ - <http://:www.arabdna.net>، يوم: 2014/01/01، الساعة: 20:20.

⁵ - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 122.

⁶ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 250.

⁷ - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ص 259 - 260.

وفي ذلك يقول المراكشي في كتابه البيان المغرب: "وصله عهد الرشيد في العشر الوسط لجمادى الأخيرة من سنة 184، وقال له فيه: (قد تقدم لكم بإفريقية أمر)"¹.

وهكذا استقلت إفريقيا عن الخلافة بالمشرق ابتداء من عام 184هـ - 800م مع احتفاظ الأغلبة بذكر اسم الخليفة على المنابر وإرسال جزية سنوية له².

وقد اختلف الرواة والمؤرخون حول الدوافع والأسباب التي جعلت الخليفة هارون الرشيد يوافق على إسناد ولاية إفريقية لإبراهيم ابن الأغلب، فقد ذكر لنا "ابن الآبار" أن حصول إبراهيم على هذه الولاية كانت نتيجة نجاحه في الكيد للأدارسة.

بينما يذكر "النويري" أن الرشيد قلده إياها نتيجة ما فعله مع "محمد بن مقاتل العكي" في مساعدته في القضاء على ثورة تمام التميمي وهناك رأي آخر يقول: "أن تنازل إبراهيم ابن الأغلب عن الإعانة السنوية التي كانت تجلب له من مصر وتقدر بـ 100 ألف دينار، وتعهده بدفع 40 دينار سنويا للخلافة العباسية جعلت هارون يستجيب، ويرحب بتقلده لولاية إفريقية"³.

وقيل أن صاحب البريد "يحي بن زياد" له الفضل في تقلد إبراهيم إفريقية، حيث كان يطلع الخليفة هارون بأمور وأحوال هذه الولاية بإخلاص وكفاءة إبراهيم السياسية والحربية⁴.

كما يذكر الدكتور حسين مؤنس بان سياسة الرشيد كانت تهدف إلى تأمين ولاية إفريقية، لأنها كانت كل ما بقي لدولة بني العباس في الجناح الغربي لدولة الإسلام، وهكذا أصبحت إفريقية في بيت إبراهيم ابن الأغلب⁵، فأنشأ هذا الأخير مدينة العباسية على بعد ثلاثة أميال من القيروان، وعظم شأنه حتى أصبح يفد عليه سفراء شارلمان ملك الفرنجة بفرنسا ساعيا وراء عقد علاقات دبلوماسية مع المسلمين وإبرام تحالف ضد الدولة الأموية بالأندلس.

¹ - المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص92.

² - بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص 137.

³ - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص ص 27، 28.

⁴ - نفسه، ص 28.

⁵ - نفسه، ص 28.

وقد امتد نفوذهم بالمغرب الأوسط حتى مدينة عناب في الشمال وإلى بلاد الزاب في الجنوب إلى طرابلس الغرب شرقا.

ت. المظاهر السياسية و العسكرية:

لقد كانت فترة الأغلبة في إفريقية تعتبر من امجد فترات تاريخها كما يروي المؤرخون، فقد دامت هذه الفترة أكثر من قرن من الزمان ساد في أثنائها الاستقرار السياسي النسبي لبلاد إفريقية¹، وعلى العموم يمكن القول بان الدولة الأغلبية دولة رشيدة الأمر، حكيمة السياسة، منهجها في الحكم إدماج البربر في العرب وتحويل نشاطهم إلى الخارج².

-نظام الحكم:

الحكومة الأغلبية تابعة للدولة العباسية اسما ومستقلة فعلا³، وقد تميز الأغلبة بحرصهم الشديد على تنظيم الحكم تنظيما محكما على نحو ما وجد في بغداد، فانتخبوا أعضاءهم من بين أمراء بيتهم الذين ظلوا أوفياء دائما، أو من بين عامة القوم من موال وخدم وخصيان وحتى من النصاري⁴.

تتمثل أهم الوظائف في الحكومة فيما يلي:

الأمير: وهو رئيس الحكومة في الدولة الأغلبية.

صاحب الخراج: أول من انشأ هذه الوظيفة هو حسان ابن النعمان أيام كان واليا من قبل عبد الملك بن مروان سنة 77هـ، ثم توسع فيها الأغلبية بما يتفق مع ثروة البلاد أيام حكمهم، وهي من اكبر الوظائف خطرا في الدولة لأنها تتعلق بثروة البلاد.

صاحب البريد: وهو بمنزلة وزير المواصلات.

قائد الجيش: وهو يقوم مقام وزير الحربية.

¹ - نفسه، ص31.

² - عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص203.

³ - المليي مبارك بن محمد، المرجع السابق، ج2، ص103.

⁴ - جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقية الشمالية، تر: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ج2، ص ص67-68.

مقدم العمارة: وهو بمنزلة وزير البحرية، وكان لدولة الأغالبة أسطول كبير، وكانت له الغلبة في البحر المتوسط على أسطول روما، وقد فتح صقلية وفالوريا، وسردينيا ومالطة، وكان مؤلفا من عدة أنواع من السفن لأغراض مختلفة¹.

العامل: ووظيفته إدارية، ينظر في المصلحة الوطنية من حيث الإدارة والتنظيم.

الحاجب: وهو مدير التشريفات، وله نفوذ كبير في القصر.

القضاء: كان متمشيا مع أحكام الشريعة، وكان لا يتولاه إلا من توافرت فيه قوة الإدراك والتبحر في العلم.

الجند: يتمثل في: الحرس الأميري المخصص لحراسة الأمير، ثم الجيش ومعظمه من المرتزقة. أما سلاح الجند فمعظمه من القوس والرمح والسيف والمنجنيق².

أما نفوذ الأمير فإنه يمتد بواسطة عماله على جميع المملكة من طرابلس إلى الحضنة والزاب، وهناك أماكن لا تصل إليها أيدي العمال.

كانت الحكومة الأغلبية أقوى حكومات المغرب يومئذ على حفظ الأمن وأحسنها سياسة للرعية، وأمرؤها أبقى الأمراء آثارا ومملكتهم أعلى الممالك حضارة³. وفي ما يلي أسماء أمرائهم الذين تداولوا على الحكم في إفريقية:

• إبراهيم بن الأغلب (800 - 812م)⁴:

هو مؤسس الدولة، شخصية مرموقة، فقيها عالما أدبيا شاعرا خطيبا، ذا رأى وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها، لم يل إفريقيا احد قبله من الأمراء اعدل في سيرة ولا أحسن في سياسة ولا أرفق برعية ولا اضبط بأمر منه⁵.

• **أبو العباس عبد الله الأول (812 - 817م):** كان طاغية انصرف كامل وقته إلى استغلال رعاياه¹.

¹ - [http://: www.3nazh.com](http://www.3nazh.com) ، يوم: 2014/01/07 ، الساعة: 18:55.

² - <http://: www.3nazh.com> ، يوم: 2014/01/07 ، الساعة: 18:55.

³ - الملي مبارك بن محمد، المرجع السابق، ص104.

⁴ - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص48.

⁵ - ابن الآبار، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1، ص93.

- زيادة الله الأول (817-838م)²: هو الذي اخمد ثورة الجند وشرع في فتح صقلية، جمع بين الذوق الأدبي والإدمان على الخمر³.
- الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (838-841م)⁴: يسمى أيضا أبو عقال، ظهرت منه بوادر طبيبه أثناء مدته القصيرة.
- أبو العباس محمد (841-856م): أمضى وقته بأكمله في الجهل والمجون.
- أبو إبراهيم احمد (856-863م): تفرغ إلى حياة التقوى والولع بالبناء والتشييد.
- زيادة الله الثاني (863-864م): كانت فترة حكمه وجيزة لدرجة لم يكتب عليها أي حدث مهم.
- أبو الغرائيق محمد الثاني (864-875م): عكف على الصيد ولذات الكأس.
- إبراهيم الثاني (878-902م): من أشهر أمراء الدولة الأغلبية فقد كان رجل دولة بحق رغم اختلال توازنه النفساني إذ اشبع نهمه بتقتيل ذويه ثم غلبت عليه التقوى فاعتزل الحكم وانقطع إلى محاربة نصارى صقلية.
- أبو العباس عبد الله (902-903م): كان أميراً ممتازاً جمع بين العلم والفقه وتمتع بشعبية واسعة رغم اعتناقه الاعتزال إلا أنه لم تكد تمر على ولايته سنة حتى خر صريعاً تحت ضربات ابنه زيادة الله الثالث.
- زيادة الله الثالث (903-909م): كان ضعيف المدارك وحشي السلوك، فلم يقدر على الصمود في وجه الشيعة وفر إلى المشرق حيث تجرع مرارة البؤس⁵.

¹ - جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 66.

² - السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2005، ج1، ص 347.

³ - جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 66.

⁴ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 50.

⁵ - جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 66.

ث. المظاهر الاقتصادية:

شهدت إفريقية خلال عهد الدولة الأغلبية تطورا اقتصاديا باهرا لم تشهده من قبل. فاستفاد الأهالي من وضع البلاد الجغرافي من خلال جمع الثروات الطائلة، وبفضل الموانئ المنتشرة على شاطئ البحر المتوسط، وهي موانئ سوسة، وتونس، وبجاية أمكن للأمرء الأغلبة أن يقيموا الأساطيل ويحرزوا الانتصارات، وقد انعكس أثر هذا على سكان إفريقية فانتعشوا اقتصاديا¹.

- الزراعة:

شهدت الإمارة الاستقرار ابتداء من سنة 840-858م وكذلك بقية البلاد بفضل انتشار الأمن فيها وبانضمامها إلى السوق الواسعة الممتدة على كامل الإمبراطورية العربية، وامتدت المساحات المزروعة من جديد ولم تقتصر على سهول الشمال المعهودة حيث كان يزرع القمح وعلى غابات الزيتون الممتدة في الشرق بل شملت حتى مناطق الوسط والجنوب (حول القيروان وقفصه وسبيطلة وقابس) بفضل ما أنجز من أعمال لجمع الماء وللري وتنوعت المنتوجات موفرة القمح والزيت ومواد جديدة مثل الزعفران والكتان والحرير.² ولم يكتف الأغلبة بما تجود به أرضهم من بعض أنواع الزراعة بل استوردوا بعض المحاصيل الزراعية من المشرق مثل القطن وقصب السكر³.

¹ - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص 37.

² - الشريف محمد الهادي، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال،

ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص 43-44.

³ - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص ص 38-39.

-الصناعة:-

أما عن الصناعة فقد شهدت انطلاقة عظيمة متمثلة في الحدادة والنجارة والنقش والحياسة والتعدين منتشرة في أنحاء المملكة بالإضافة إلى أنهم كانوا يستخرجون المعادن من مجانة (شمال شرقي تبسه) ومناجم بونة وغيرهما أنواع الحديد والرصاص والفضة والكحل، ومن مرسى الخرز - القالة - أنواع اللؤلؤ والمرجان.¹ زد عن ذلك صناعة السفن في تونس وصنع الأقمشة الرفيعة في القيروان وسوسة وقابس² وكانت صناعة الزجاج والخزف رائجة في الزاب رواجاً كبيراً³.

-التجارة:-

نتيجة لإحكام الأغلبة على زمام البحرية دون منازع، احتكروا دور الوساطة التجارية بالنسبة للتجارة العالمية بين الشرق والمغرب وجنوا من وراء ذلك أطيب الثمار⁴، بحيث شهدت التجارة تقدماً هاماً، وأصبحت طرقها تربط بين القيروان وأوروبا المسيحية، حيث كانت تسوق البضائع المصنوعة مقابل العبيد (من صقلية)⁵.

كما اهتموا بالتجارة مع الجنوب فمهدوا طرق القوافل لتسهيل التجارة مع أهل اللثام وبلاد الجريد، وأصبحت القيروان من أكبر المراكز التجارية في غرب البحر المتوسط تربط بين أواسط إفريقيا - مصدر التبر والعبيد من الزنوج - وبالشرق الثري، وكذلك سوسة والأربس وغيرهم.

وإذا كانت بغداد ودمشق والإسكندرية قد عرفت نظام الأسواق المتخصصة، فإن القيروان أيضاً قد شهدت مثل هذه الأسواق منذ أيام حاتم بن يزيد المهلبى، وعلا طريقها الرئيسي بالمتاجر.

¹ - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 273.

² - الشريف محمد الهادي، المرجع السابق، ص 44.

³ - الكعك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 112.

⁴ - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص ص 37 - 38.

⁵ - الشريف محمد الهادي، المرجع السابق، ص 44.

وكانت إفريقية الأغلبية تصدر القمح والشعير إلى الإسكندرية والرقيق إلى بلاد الشام، كما كانوا يصدرون أيضا النسيج والأبسطة والأقمشة الفاخرة إلى بغداد. تعتبر فترة إبراهيم بن الأغلب وابنه زيادة الله الأول من أزهى فترات دولة الأغالبة حيث ساد الرخاء الاقتصادي في عهدهما، فضربت الدنانير والدراهم على نمط الطراز العباسي، كما دونت الدواوين مثل ديوان الخراج وديوان الختم، وكذلك دار الطراز التي كانت تنتج ما يرسله الأمير من الكسوى والإنعامات إلى مشاهير وكبار رجال الدولة في المناسبات، وكان بلاط الأغالبة صورة مصغرة للبلاط العباسي¹.

ج. المظاهر الاجتماعية والثقافية:

لقد كان المجتمع في إفريقية خلال عهد الدولة الأغلبية، لا يزال يتميز بوجود طبقة اجتماعية موروثية من عصر الفتوحات، لكن الفوارق بين الأجناس بدأت تضعف في أعلى السلم الاجتماعي عن طريق الاختلاط الطبيعي، وبفضل تعيين النخبة المحلية في المناصب العليا، فقد كانت خدمة الأمير والمهام الإدارية والدينية تكسب أصحابها الشرف، وكانت التجارة تثري القائمين بها، أما في الدرجات السفلى من السلم فنلاحظ ارتفاع عدد العبيد في المدن وحتى في الأرياف².

-الثقافة:-

لقد امتاز عصر الأغالبة بكثرة عقد الرحلات في طلب العلم، وكتب التراجم حافلة بذكر أسماء العلماء من أهل المغرب الذين اخذوا علمهم عن مالك وابن القاسم ومحمد بن الحسن وأضرابهم من أئمة المشرق، وشاع يومئذ بين الناس التعليم العام والخاص في المساجد والكتاتيب وغيرها وعلى الخصوص علم الفقه والتشريع³، وكان طلاب العلم كثيرين، والكثيرون منهم كانوا من أبناء الطبقة الموسرة والتجار وأصحاب الضياع⁴. كما انتشرت يومئذ بالمغرب علوم الحكمة والفلسفة والطب على يد العالم الحكيم أبي يعقوب إسحاق بن عمران البغدادي، فقد استدعاه الأمير زيادة الله الثالث لمعالجته حين

¹ - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص 38-39.

² - الشريف محمد الهادي، المرجع السابق، ص 44.

³ - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 269.

⁴ - مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007، ص 113.

أصيب بمرض اعجز الأطباء علاجه، فجاء هذا إلى القيروان ومعه أبو الحسن بن حاتم، وكان أبو يعقوب هذا ماهرا حاذقا في صناعة الأدوية المركبة والبسيطة، فاستوطن بالقيروان وبها ألف كتبه ونشر علمه وعنه اخذ المغاربة الطب والفلسفة¹.

بالإضافة إلى أن اللغة العربية انتشرت بشكل واسع في تلك الفترة، ولقد كان الدين من أقوى العوامل المساعدة على ذلك، على غرار أمراء بني الأغلب الذين نشطوا العلماء وساعدوهم على تلقي العلم، وبثه بالتآلف والتدريس والدعاية فقد أحدثوا مدرسة جامعة بالقيروان، وهي "دار الحكمة" تدرس بها العلوم العقلية والرياضية والطبيعية واستقدموا إليها الأساتذة من الشرق².

-العمران:

إذا كان من المعروف عن فترة المهالبة أنهم قد أعطوا اهتماما كبيرا في إفريقية لإقامة الأبنية والمنشآت التي تميزت بها، فإن الأغلبة قد جلبوا المدينة والحضارة في إفريقية والمغرب الأوسط.

فمن أهم إنجازات الأغلبة المعمارية تجديد مسجدي القيروان وتونس، وهما المعروفان بمسجد عقبة بن نافع، ومسجد الزيتونة، بحيث قام زيادة الله بن الأغلب برفع قبابة ومئذنة مسجد عقبة بن نافع وإعطائه صورته الحالية، كما قام بتوسيع مسجد الزيتونة. ثم قام أبو العباس محمد بن الأغلب خامس أمراء الأغلبة، ببناء جامع سوسة الذي يعتبر من أجمل الآثار المعمارية الإسلامية في إفريقية، ومن منشآته أيضا رباط سوسة المعروف بقصر الرباط.

وقد تمهدت الطرق وعبدت السبل وأسست المدن مثل العباسية(القصر القديم)بالجزائر قرب تاهرت سنة 227هـ - 841م³.

تدل الإنشاءات الكثيرة التي ذكرناها، على أن الهندسة والعمارة كانت في مستوى رفيع، وفي نهاية العصر الأغلبي، وخلال حكم إبراهيم بن احمد بالذات أصبحت القيروان من عواصم الفكر والحضارة في العالم الإسلامي.

¹ - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 270.

² - الكعك عثمان، المرجع السابق، ص 113.

³ - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص ص 32 - 33.

وخلاصة القول أن العصر الأغلبي يمثل فترة انتقال حاسمة في تاريخ إفريقيا، فقد انتقلت إفريقيا من قطر مضطرب غير واضح المعالم ولا محدد التكوين البشري والفكري، إلى بلد واضح المعالم والسمات، له مدنه الزاهرة ومدائنه العامرة تزيناها المنشآت الكثيرة، وله ريفه الفسيح الذي ينتج غلات وفيرة، وسكانه الإفريقيون الذين نتجوا عن اختلاط العرب والبربر، وممن كان يفد باستمرار من الخرسانيين والأندلسيين، وظهروا من أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع ميلادي) شعبا إسلاميا عربيا مكتمل التكوين، وله مكانه الواضح المتميز على الخريطة العامة للعالم الإسلامي في عصره الذهبي¹.

ح. الأوضاع الخارجية وسقوط الدولة الأغلبية:

- أهم الفتوحات:

لقد استطاع إبراهيم ابن الأغلب أن يحقق التزاماته نحو الخلافة فكون قوة عسكرية كبيرة من البربر المستعربة الذين عملوا كجند في الجيش الأغلبي كما استكثر إبراهيم ابن الأغلب من الصقالبة (وهم جند من أصل أوربي، وكانوا يربون تربية عربية إسلامية ليكونوا بعد ذلك جندا وخداما للدولة في القصور والوظائف)، وكما أضاف إليهم بعد ذلك قوة من السود.

كذلك كون إبراهيم ابن الأغلب قوة بحرية هائلة مكنت الأغلبية بعد ذلك من غزو العديد من المناطق، ولم يطمئن على حكمه إلا بعد أن تم له إنشاء كل هذه القوات خلال السنوات الأولى من حكمه لإفريقية².

ففي سنة 212هـ - 827م أغزى زيادة الله صقلية، واجتمع له 70 مركبا، حمل فيها 700 فرس، وعرض القاضي أسد بن الفرات نفسه على زيادة الله في الخروج للغزو، فولاه على الجيش، وأقره على القضاء مع القيادة، فخرج معه أشراف إفريقيا من العرب، والجند، والبربر، والأندلسيين، وأهل العلم والبصائر، وذلك في حفل عظيم وعدة جلييلة في ربيع الأول، فساروا إلى حصون الروم ومدنهم، فأصابوا سبيا كثيرا، وسائمة كثيرة، وكراعا وكثرت الغنائم عند المسلمين³، ولم يأت عام 224هـ - 840م، حتى كان المسلمون قد فتحوا

¹ - مؤنس حسين، المرجع السابق، ص 114.

² - القيرواني الرقيق، المصدر السابق، ص 29.

³ - المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 102.

ثالث جزيرة صقلية تقريبا¹.

وفي سنة 206هـ - 821م بعث زيادة الله أسطوله إلى جزيرة سردينيا فغزاها، وغنم منها غنائم كثيرة²، وفي سنة 215هـ - 931م، استولى العرب على مدينة بلرمو وجعلوا منها عاصمتهم³، ثم استولوا على مسانة عام 224هـ - 840م⁴، بعد أن منوا بخيبات كان منشؤها في الغالب خلافت بين جيوش إفريقية وإسبانيا وانتشار الأوبئة⁵.

كما قام المسلمون عام 225هـ - 841م بالاستيلاء على مركز القاعدة البيزنطية في جنوب شرقي إيطاليا⁶.

وقد باغت الأغالبة مدينة أوست، ووصلوا إلى أسوار روما سنة 233هـ - 848م⁷. وكان في إمكان الأغالبة الاستيلاء على إيطاليا كلها لولا ضعف الأغالبة بعد موت إبراهيم بن أحمد، حيث اضطربت دولة الأغالبة في إفريقية في عهد ابنه أبي العباس عبد الله، وانشغال خليفة زيادة الله الثالث بمقاومة الخطر الشيعي، وأدى ذلك إلى انصراف الأغالبة عن أعمال الفتح في إيطاليا⁸.

وفي سنة 251هـ - 866م، كانت غزوة السرية المعروفة بسرية ألف فارس، وذلك أن خفاجة صاحب صقلية غزا قصريانة، فافسد زرعها. وسار إلى سرقوسة، فقاتل أهلها، ثم رحل عنهم، وأخرج ابنه محمدا إليهم في سرية، فكمن لهم، وقتل منهم ألف فارس، فسميت تلك السرية بسرية ألف فارس. وفي سنة 252هـ - 867م، غزا خفاجة صاحب صقلية أرض الروم، وفتح حصونا كثيرة⁹.

وفي عهد محمد الثاني أبو الغرائيق (250هـ - 864م) تم فتح جزيرة مالطا نهائيا عام

¹ - بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص 137.

² - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 123.

³ - جولييان شارل أندري، المرجع السابق، ص ص 69 - 70.

⁴ - بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص 137.

⁵ - جولييان شارل أندري، المرجع السابق، ص 70.

⁶ - بوعزيز يحيى، المرجع السابق، ص 137.

⁷ - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 130.

⁸ - الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص 132.

⁹ - المراكشي ابن عذارى، ج 1، المصدر السابق، ص 114.

255هـ-871م وضمت إلى إمارة إفريقية¹.

ليكون آخر فتح للأغالبة هو تاورمينة عام 294هـ-902م، ومن ذلك الوقت استوثق الأمر للعرب في صقلية باستثناء بعض المراكز الخالية من الأهمية. واضطر الإمبراطور ليون السادس أمام انتصارات الأغالبة إلى التخلي عن ممتلكاته في إيطاليا والاكتفاء أثناء الفترة الثانية من ملكه بحصر طموحه السياسي في المشرق².

-العلاقات الخارجية:-

-علاقة الأغالبة بالرستميين:

قرر الرستميون إتباع سياسة التعايش السلمي مع دولة الأغالبة، وهي التي كانت الجار الأقوى على حدودهم الشرقية، وقد دفع هذا بعض المؤرخين إلى القول بأن علاقة الرستميين بالأغالبة لم تتخذ طابعا عدائيا.

وفي الحقيقة أن انتهاج الرستميين للتعايش السلمي مع الأغالبة، لا يرجع إلى ما اشتهر به الرستميون من التقوى والمسالمة وعدم الاهتمام بما يدور خارج حدودهم وانصرافهم إلى شؤونهم الداخلية، وإنما يرجع الأمر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدولتين، إذ تطوق حدود الدولة الرستمية - الممتدة من تاهرت غربا إلى طرابلس شرقا - دولة الأغالبة ولم تكن هذه الحدود واضحة المعالم.

وقد عقد أول اتفاق لتقرير مبدأ التعايش السلمي بين الرستميين والأغالبة سنة (197هـ-813م) حيث اضطر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى الاصطدام مع الأغالبة دفاعا عن مواطني دولته من قبيلة هواره³.

ولكن سياسة التعايش السلمي هذه التي اتبعتها الدولة الرستمية، أملت عليها في كثير من الأحيان الدفاع عن نفسها ضد الأغالبة وأطماعهم. فرأى الرستميون أن قيام محمد بن الأغلب سنة 239هـ-853م ببناء مدينة العباسية بالقرب من تاهرت، فيه مساس بمبدأ التعايش السلمي ويتعارض تماما مع المصالح الحيوية للرستميين إذ استهدف الأغالبة بنائها القضاء على المركز التجاري الهام الذي احتلته تاهرت، كما شعر الرستميون أنها بنيت

¹-بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص 137.

²- جولييان شارل أندري، المرجع السابق، ص 70.

³- الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص ص 197-198.

لتكون قاعدة للهجوم على عاصمتهم تاهرت. لهذا قام افلح بن عبد الوهاب بإخلائها وحرقها¹. كما كانت هناك علاقات ثقافية قائمة بين تاهرت والقيروان تمثلت في العلماء والأدباء الذين انتقلوا من تاهرت إلى القيروان بغية تحصيل العلم على يد من فيها من العلماء².

-علاقة الأغلبية بالأدارسة:-

إن علاقات الأدارسة ببني الأغلب امتدادا لعلاقات بغداد بفاس، فدولة الأغلبية التي قامت بإفريقيا سنة 184هـ - 800م، كانت تدين بالولاء إلى السياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي، فكانت تمثل رمز نفوذ الخلافة الوحيدة في بلاد المغرب وقاعدتها لاسترداد سلطانها المفقود وفي تلك الجهات، ومن ثم قامت سياستهم الخارجية على معاداة أعداء الخلافة ومصادقة أصدقائها.

لقد فرضت الظروف الجغرافية والسياسية على الدولتين، أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدائيا، ولكن هذا العداء لم يبلغ حد القتال وتجهيز الجيوش لوجود فاصل بينهما هو دولة بني رستم الخارجية، التي حالت دون الصدام المباشر، وانصرف الأغلبية كعادة أسيادهم خلفاء بغداد إلى التآمر مستخدمين بعض أعوان الإمام إدريس الثاني وخاصة وزيره البربري بهلول بن عبد الله بن عبد الواحد المطغري، فقد انحرف بهلول مع قومه عن دعوة العلويين إلى العباسيين بتأثير من إبراهيم ابن الأغلب الذي أغراه بالمال، وكانت معالجة الإمام إدريس لهذه المشكلة حكيما إذ عرض الصلح على ابن الأغلب لقطع الطريق على الوزير المتآمر³.

كانت النتيجة قبول الصلح الذي تم الفريقين وامن كل منهما الآخر وبهذا ضعف موقف بهلول وأتباعه وكان تحذيرا لكل من يحاول أن يقلد بهلول، وكف الأغلبية عن التآمر. وسادت علاقات عادية بين الأدارسة والأغلبية لا يمكن أن توصف لا بالودية ولا بالعدائية⁴.

¹ - الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص ص 197 - 198.

² - نفسه، ص 200.

³ - سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص 146.

⁴ - نفسه، 146.

سقوط الدولة الأغلبية:

لقد تأسست الدول الأغلبية سنة 184هـ - 800م، وسقطت سنة 296هـ - 909م فمدتها 112 سنة، وكان سقوطها على يد أبي عبد الله الشيعي، ذلك أنه نزل بفرجيوه من أرض كتامة سنة 280هـ، وأخذ في تمهيد الأمر لعبيد الله المهدي فأرسل الأمير إبراهيم ابن الأغلب إلى موسى بن العباس عامله بميلة يستخبره عنه، فهون أمره عليه. ولما اشتد ساعده بكثرة الأتباع أرسل إليه الأمير إبراهيم قائلاً:

"ما حملك على التعرض لسخطي والوثوب على ملكي، فإن كنت تبتغي عرض الدنيا منحناك إياه. وإن أردت غير ذلك فقد علمت عواقب ما سولت له نفسه ما سولت لك نفسك. وهذا أول كلامي وآخره. فانظر في يومك لعدك"، فقال أبو عبد الله للرسول: "قد قلت فاسمع وبلغت فابلق، إني لست ممن يروع بالأعداء وفي أنصار الدين الذين لا يخشون كثرة أنصار الظالمين، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، ولا طمع لي فيما عنده، وإنما جئت لأمر حم"¹. وعند ذلك وجه إليه زيادة الله مع عمه إبراهيم ابن الأغلب جيشاً عدته أربعون ألف مقاتل فهزمهم أبو عبد الله في أحواز الأربس سنة 296هـ - 909م. ولما بلغ زيادة الله خبر هذه الهزيمة تحقق من زوال دولته، فجمع ماله وال بيته وخرج من رقاده ليلة الاثنين 26 جمادى الثانية من السنة (18 مارس 909م) وقصد المشرق².

ومن أهم الأسباب التي ساعدت على سقوط الدولة الأغلبية، والمتمثلة في:

- الصراع على الحكم بن أبناء البيت الحاكم.
- تركيبة الجيش المبنية على المنفعة الذاتية للجنود.
- ظلم بعض الأمراء وإسرافهم في القتل.
- بغض العامة للأمراء الأغلبية نتيجة ظلمهم.
- انغماس الأمراء في الخمر والفساد والانحلال وانشغالهم به.
- ظهور دعوة عقديّة في ريعان شبابها وكان دعائها على جانب كبير من الغدر

¹ - الملي مبارك، المرجع السابق، ص ص 107 - 108.

² - الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 319.

واستغلال الظروف المواتية ألا وهي الدعوة العبيدية¹.

وهكذا انتهت بهذه الصورة التعيسة وفي شخص آخر ممثل لها، الدولة التي عاشت العظمة والمجد وحكمت إفريقية طيلة ما يقرب من قرن وعقد (800-909م)، في صورة بلاد مستقلة لأول مرة، في إطار دار الإسلام².

¹ - الصلابي علي محمد، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2005، مج1، ص 653.

² - الطالب محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 780.

-المحاضرة السابعة: الدولة الشيعية العبيدية بالقيروان والمهدية (296-361هـ/908-

971م):

1-نشأة الدولة الفاطمية:

نشأت الدولة الفاطمية على يد العبيديين، الذين انتسبوا إلى ذرية سيدنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، من السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، كذبًا وزورًا، على ما ذهب إلى ذلك جمهور علماء التاريخ.

وقع الاختيار على اليمن لكي تكون مركزًا لدعوة الشيعة الإسماعيلية لبعدها عن أنظار الدولة العباسية، ومن هناك بدؤوا في إعداد القوة العسكرية السرية التي هي عدتهم في المستقبل، وتسلم القيادة في اليمن رجل يدعى رستم بن حوشب الذي استطاع أن يستقطب بعض الفرس المعادين للمسلمين، إلا أن ابن حوشب رأى أن أرض المغرب خصبة للبذور الشيعية، فأرسل من اليمن رجلين من أنصاره هما «سفيان والحلواني» إلى طرابلس وتونس لنشر المذهب الشيعي، واستطاعا أن يتوغلا بأفكارهما في قبائل البرانس ذات القوة والعدة والعتاد، والتي تتطلع إلى إقامة دولة في المغرب على نهج الأدارسة في المغرب الأقصى، والأغلبية الذين عاصمتهم تونس¹.

ومن بين الذين اختارهم ابن حوشب في اليمن: أبو عبد الله الشيعي واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء، وقيل من أهل الكوفة، أخذ أسرار الدعوة من ابن حوشب، ووقع اختيار ابن حوشب على هذا الرجل لما لمس فيه من صفات قيادية بارزة من علم وذكاء ومقدرة في التعامل مع الناس، ويعتبر أبو عبد الله الشيعي اليماني الصنعاني المؤسس الفعلي لدولة العبيديين الرافضة الإسماعيلية في المغرب، فأرسله ابن حوشب بعد موت الحلواني وأبي سفيان الداعيتين بالمغرب، وقال له: «إن أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وسفيان، وقد ماتا، وليس لك غيرها فبادر فإنها موطأة ممهدة لك»².

قدم أبو عبد الله الشيعي إلى مكة أيام الحج، وسأل عن حجاج المغرب الكتاميين فدلوه عليهم، فاجتمع بهم، وكان عندهم طرف من ذكر آل البيت، فجلس إليهم وتحدث معهم وذكر

¹ - الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ط1، 2009، ص33.

² - الغنيمي مقلد عبد الفتاح، المرجع السابق، ج2، ص57.

لهم فضائل أهل البيت، فأنسوا بحديثه، وأعجبوا به، ومالوا إليه، وسألوه عن قصده ونيتته، فقال لهم أنه يرد الذهاب إلى مصر من أجل التعليم، فأخذوه معهم إلى مصر، ولما حان رحيلهم وعودتهم إلى بلادهم أخذ يودعهم، وقد عزّ عليهم فراقه، فقالوا له لماذا لا تذهب معنا، إذا كان قصدك التعليم والثواب، فقبل بذلك وذهب معهم إلى المغرب، ولم يظهر لهم نواياه الحقيقية، وفي أثناء سيرهم كان يسألهم عن خبر بلادهم وعشائريهم، إلى أن أخذ منهم فكرة وافية عليها، ولما وصلوا إلى بلادهم، جرى بينهم التنافس حول من تكون إقامته عنده، إلى أن كادت أن تتطور بينهم الأمور وتصبح فتنة بينهم، فعندئذ سألهم عن فج الأخيار (جبل بايكجان)، ولم يكن قد سألهم عنه من قبل، فعجبوا منه¹، وقال إذا جئنا فآتي كل قبيلة منكم في مكانها، فرضوا وقبلوا بذلك، وكان إسمه عندهم أبا عبد الله المشرقي، وكان قد قدم المغرب منتصف ربيع الأول سنة 288هـ/900م، وأتاه البربر من كل مكان، وكان ذلك في زمن إبراهيم بن أحمد الأغلب، فلما سمع به استصغر أمره واحتقره، وبعد ذلك سار أبو عبد الله إلى تيهرت فملكها، وأنته وفود البربر من كل مكان، ولا زال في زيادة من أمره إلى أيام زيادة الله الأحول، فبعث إليه جيش يقدر بعدة آلاف فهزمهم أبو عبد الله، ولما رأى زيادة الله أبا عبد الله يتزايد مناصريه ويعلو شأنه، فرّ بأهله وماله إلى المشرق².

ولما وصل الخبر إلى أبي عبد الله أن زيادة الله هرب، سار إلى مدينة رقادة فدخلها سنة 293هـ/905م، ولما سمع أهل القيروان بذلك خرجوا إليه وهنؤوه بالفتح، ولما حضرته الجمعة كتب كتاباً لخطيب مسجد رقادة وخطيب مسجد القيروان بما يقولان، ونقش على السكة من وجه بلغت حجة الله، وعلى الوجه الآخر تفرقت أعداء الله، ولما استقام له أمر البلاد وعهدها، واجتمع بأخيه أبي العباس استخلفه وخرج من رقادة في أول رمضان من سنة 296هـ/909م توجه إلى سجلماسة، فاهتز له المغرب وخافته زناتة وقبائل العرب والبربر المخالفون له، فطلبوا منه الأمان، ولما اقترب من سجلماسة سمع به اليسع بن مدرار وكان عاملاً لبني الأغلب، وكان زيادة الله قد كاتبه يخبره بأمر المهدي، وهو إذ ذاك في بلده، فبعث إلى المهدي وسأله عن حاله فأكر، وكان قد وصل إلى بلاد المغرب في زي التجار فتجاوز

¹ - المقرئزي تقي الدين أبي العباس أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، طبعة بولاق، د ت، ص350.

² - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص51، 52.

عنه، ولما بلغه الخبر عن أبي عبد الله الشيعي أمسك المهدي وسجنه، فلما سمع أبو عبد الله بسجن المهدي كاتب اليسع وتلطف إليه، فلم يستجب لأمره، وخرج إليه اليسع فقاتله ساعة من نهار فانهزم اليسع، ودخل أبو عبد الله البلد وأطلق سراح المهدي وولده من السجن، وقام بحملهما على مراكب فخمة، ومشى أبو عبد الله ووجوه القبائل بين يدي المهدي، وهو يبكي من الفرح ويقول هذا مولاي ومولاكم، وأنزله في فسطاط أعد له، وبعد ذلك رحل أبو عبد الله يطلب اليسع فظفر به وقتله، وأقام المهدي في سجنماسة أربعين يوماً ثم نهض إلى إفريقيا، وكان دخوله إليها في أزيد من مائتي ألف بين فارس وراجل، وكان وصول المهدي إلى رقادة سنة 297هـ/910م، ونزل بقصر من قصورها وفرق باقي القصور والدور على الجنود، وكتب إلى جميع البلاد فأخذ البيعة وأمر الخطباء أن يذكروا اسمه على المنابر، واستبد بعد ذلك بالأمر ودون الدواوين، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين، وفي هذه السنة سقطت دولة بني مدرار من سجنماسة بعد 260 سنة، ودولة بني رستم من تيهرت بعد 130 سنة، ودولة بني الأغلب بعد 112 سنة من قيامها¹.

2- خلفاء الدولة العبيدية بالمغرب:

- عبيد الله المهدي (297 - 322هـ / 909 - 933م):

هو مؤسس الدولة العبيدية وأول حاكم فيها، وهو عراقي الأصل، ولد في الكوفة سنة 260هـ/873م، وكان يختبأ في بلدة سلمية شمال الشام. وكان يعرف باسم سعيد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح².

وبعد أن تخلص عبيد الله المهدي من خصومه أراد أن ينشر مذهبه في القيروان، ومن ثم الشمال الإفريقي، ولكن طلائع علماء أهل السنة والجماعة نابذوه العداء، وأقنعوا الناس بأن دولة العبيديين كفرية بعيدة عن الشريعة الإسلامية، وحدث بين العبيديين وأهل السنة حروب طاحنة فانتقل عبيد الله المهدي إلى المهديّة بعد أن قام ببنائها وتحصينها، إلا أنه لقي مقاومة قادها علماء أهل السنة ضدهم، فأخضع المدن بقوة السلاح، وفكر في الانتقال إلى مصر، وأرسل عدة حملات إليها إلا أنها فشلت أمام جيوش العباسيين، واستمر عبيد الله في

¹ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 52، 53.

² - الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، ص 38.

حكمه إلى أن هلك في عام 322هـ/933م، وله اثنتان وستون سنة، وكانت دولته خمسًا وعشرين سنة وأشهر¹.

- القائم بأمر الله أبو القاسم نزار بن عبيد الله (322-334هـ/ 933-945م)

هو أبو القاسم محمد بن المهدي بن عبيد الله، ولد في سلمية سنة ثمان وسبعين ومائتين، بويح له بخلافة الروافض في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان مهيبًا شجاعًا قليل الخير، فاسد العقيدة، خرج عليه في سنة اثنتين وثلاثمائة أبو يزيد مخلد بن كيداد البربري، وأباد عددًا من العلماء، وكان يرأس قرامطة البحرين، ويأمر بإحراق المساجد والمصاحف، واستغل أبو يزيد الخارجي كفر أبي القاسم وألب عليه إباضية المغرب وجموع القبائل وفقهاء وزهاد القيروان، وكان القائم العبيدي يقذف ويسب الصحابة علنًا ويطعن في النبي _صلى الله عليه وسلم².

- المنصور بن القائم بن المهدي أبو طاهر إسماعيل (334-341هـ/ 945-952م):

وكان بطلاً شجاعاً، رابط الجأش، فصيحاً مفوهًا يرتجل الخطب، وفيه إسلام في الجملة وعقل بخلاف أبيه الزنديق، كان يتودد إلى رعيته واقتصر على إظهار التشيع فقط، توفي في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة³.

- المعز لدين الله أبو تميم سعد بن المنصور (341-365هـ/ 952-975م):

هو معد بن إسماعيل المنصور، ولد بالمهدية سنة 319هـ/930م، وهو الخليفة العبيدي الرابع منهم، وبموت كافور الإخشيدي في سنة 355هـ اضطربت الديار المصرية، فاقتنص المعز الفرصة، واختار جوهر الصقلي قائدًا لتلك الجيوش التي كانت تزيد على مائة ألف، الذي قاد الحملة إلى مصر للقضاء على الخلافة العباسية، وفي سنة 358هـ/968م استطاعت جيوش المعز دخول مصر بقيادة خادمه جوهر الصقلي الذي لم يجد أي عناء في ضمها لأملاك العبيديين، وقام جوهر الصقلي ببناء جامع الأزهر سنة 361هـ/971م، ثم التحق به المعز سنة 362هـ/972م، بعد أن ولى على إفريقية بلكين بن زيري⁴.

¹ - نفسه، ص 38، 39.

² - الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، ص 54.

³ - فيلالي بلقاسم، المرجع السابق، ص 72.

⁴ - فيلالي بلقاسم، المرجع السابق، ص 72، 73.

3- النزاع المذهبي في بلاد المغرب أثناء تواجد الفاطميين:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي زمن الفاطميين صراعاً مذهبياً، بين غالبية أهل السنة والشيعة الذين بذلوا ما في وسعهم لنشر مبادئ مذهبهم، كما عملوا في المقابل جاهدين على طمس وجود المذاهب الأخرى، فأقصر الفاطميون الوظائف على الشيعة، وعقدوا المجالس والمناظرات من أجل إقناع سكان البلاد بصحة مبادئهم ونزاهتها، وعندما لم يستجب لهم غالبية السكان في إتباع مذهبهم، لجؤوا إلى عمليات الاضطهاد حين فشلت وسائلهم في إقناع السكان باتباع مذهبهم¹.

4- ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد:

هو مخلد بن كيداد اليفرنى بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن يفرن، عاش أبو يزيد فقيراً وطلب المذهب الخارجي فتتلمذ على النكارية، وكان في أول أمره معلماً لتحفيظ القرآن الكريم، حيث كان يعلم أولاد المسلمين²، وقضى معظم وقته في التعليم وظهر في بداية أمره بمظهر الزهاد، فكان يركب حماراً ينتقل به بين القبائل والجبال فلقب بصاحب الحمار، وتذكر بعض كتب التاريخ أنه لما قاد الثورة ضد العبيديين كانت سنه تقارب التسعين، واستغل العداء بين زناتة والعبيديين وما مارسته الدولة الشيعية من أخذ الضرائب حتى فاقوا في ظلمهم الأغلبية، فبدأ أبو يزيد في إعداد العدة في منطقة الجريد وأشغل الشمال الإفريقي بحروب طاحنة، وكانت بداية ثورته في زمن عبيد الله في جهات طرابلس وتابعه كثير من البرابرة من شدة جور محمد بن عبيد الله المهدي لأهل السنة، وظلمه لهم، وتعذيبه إياهم، ورأى علماء أهل السنة الوقوف مع أبي يزيد ضد بني عبيد وقال: هم أهل القبلة -أي أصحاب أبي يزيد- وأولئك ليسوا من أهل القبلة -وهم بنو عدو الله-، وسمى أبو يزيد نفسه شيخ المؤمنين، وكان يضمم لأهل السنة أشد العداوة، لأنه كان نكاريًا³.

زحف أبو يزيد في عهد الخليفة القائم الفاطمي إلى مدينة رقادة، فأدى ذلك إلى انسحاب

¹ - شهابي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 53.

² - الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: بن ميلاد

أحمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص 324.

³ - الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، ص 51.

الكتاميين منها، ثم سار نحو القيروان فدخلت تحت طاعته، وهكذا ضل صاحب الحمار يواصل مهاجمته للمدن التي يسيطر عليها الفاطميون، حتى فاجأ أهل المهدية بحملاته مما اضطرهم إلى النزوح عنها إلى طرابلس وصقلية ومصر. ولكن نفوذ أبي يزيد سرعان ما بدأ يتقلص ويضعف بسبب انضمام عدد كبير من رجاله إلى الجيش الفاطمي، وهذا السبب جعله يرتد عن مدينة المهدية بقوة صغيرة من رجاله تاركاً خلفه ما كان معه من المؤن والعتاد، ثم تقدم إلى القيروان فهزم أهلها سنة 334هـ/945م¹.

وفي سنة 334هـ/945م، توفي الخليفة القائم، ولكن ابنه وولي عهده إسماعيل الملقب بالمنصور كتم الأمر خوفاً من أن يطمع فيه أبو يزيد، ولم يتلق بالخليفة، كما لم يغير السكة ولا الخطبة، ولا البنود حتى فرغ من أمر أبو يزيد.

وجه المنصور الفاطمي كل جهوده للقضاء على ثورة أبي يزيد، وسرعان ما قويت جيوشه بانضمام قبيلة صنهاجة إليها، وأخذت قواته تطارد أبي يزيد من مكان لآخر، حتى عجز عن مقاومتها، وحلت به الهزيمة وانتهت ثورة هذا الخارجي بالقبض عليه ووفاته متأثراً بجروحه سنة 336هـ/947م، ولقد كشفت لنا ثورة أبي يزيد عن مدى استعداد البربر لتأييد كل خارجي يثور على الخلافة الفاطمية، ومنذ قيام هذه الثورة أخذ النفوذ الفاطمي يتضاءل في بلاد المغرب، كما بدأت الحكومات المستقلة في الظهور بالمناطق العربية من الدولة الفاطمية².

¹ - سرور محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص 30.

² - نفسه، 31.

-المحاضرة الثامنة: الدولة الزيرية الصنهاجية بالقيروان والمهدية (362)-

555هـ/972-1159م):

-نشأتها:

ينتسب بنو زيري إلى جدهم مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر الذي حكم إفريقية والمغرب زمن العباسيين باسم الأغالبة، وقام من بعده بالأمر ابنه زيري بن مناد وكان من أعظم ملوك البربر¹.

طلب الخليفة الفاطمي الثالث المنصور من شيخ قبيلة صنهاجة زيري بن مناد، أن يساعده في القضاء على ثورة صاحب الحمار أبي يزيد، وكان ذلك سنة 334هـ/945م، فقام زيري بن مناد بمساعدته، حتى قضى على الثورة سنة 336هـ/947م، وبعدها أكرمه الخليفة الفاطمي المنصور وعينه أميراً على قومه، وحين قتل زيري بن مناد، قام الخليفة الفاطمي الرابع ببلاد المغرب المعز لدين الله، بتعيين بلكين بن زيري بن مناد سنة 360هـ/970م، عاملاً على مدينة أشير والمسيلة وتيهرت، ثم لما قرر المعز لدين الله الفطمي نقل سلطانه من بلاد المغرب الإسلامي إلى مدينة مصر سنة 361هـ/972م، استدعى بلكين بن زيري من منطقة أشير إلى المهدية، وقام بتعيينه والياً على بلاد المغرب جميعاً، ومن هذا الوقت ابتدأ عهد الإمارة الزيرية ببلاد المغرب الإسلامي².

لقد تدرجت الإمارة الزيرية، حتى أصبح نفوذها كبيراً وسلطانها واسعاً، لكن الحروب بين بني زيري وانفصال حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط سنة 405هـ/1014م، ترتب عنه انقسام الزيريين إلى دولتين، وهما: الإمارة الزيرية الشرقية والتي عاصمتها المهدية، والدولة الحمادية غرباً وعاصمتها القلعة أولاً ثم بجاية ثانياً³.

¹ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص203.

² - شهابي عبد العزيز، المرجع السابق، ص55.

³ - شهابي عبد العزيز، المرجع السابق، ص55.

-أمرائها:

-يوسف بُلْكِين بن زيري بن مناد الصنهاجي [362 - 373هـ / 973 - 983م]:

هو يوسف بن زيري الصنهاجي أبو الفتوح بلكين¹، عينه المعز على ولاية المغرب، واستثنى من ذلك طرابلس المغرب، و أجداية وسرت، وعين معه زيادة الله ابن القديم على جباية الأموال، وجعل عبد الجبار الخراساني وحسين بن خلف على الخراج، وأمرهما بالانقياد ليوسف بن زيري.

واجه يوسف عدة ثورات واضطرابات بالمغرب، كان منها عصيان أهل تيهرت، ثم سيطرة قبيلة زناتة على مدينة تلمسان، وقد توجه إلى تيهرت بجنوده وأعادها إلى طاعته، كما توجه إلى تلمسان وأعادها إلى حكمه في سنة (365هـ / 976م).

وفي سنة (373هـ / 984م) خرج الأمير يوسف على رأس جيوشه لاستعادة سجلماسة من أيدي بعض الثوار الذين استولوا عليها، ولكنه أصيب بمرض أودى بحياته في شهر ذي الحجة سنة (373هـ / مايو 984م).

-المنصور بن يوسف بُلْكِين بن زيري [373 - 386هـ / 984 - 996م]:

ولي الإمارة في أوائل سنة 374هـ/985م، بمدينة أشير حين بلغه خبر وفاة والده، وأقبل عليه أهل القيروان وغيرها من المدن، لتعزيته، وتهنئته بالولاية، فأحسن إليهم، حيث كان جوادا كريما سمحا صارما عازما²، وقال لهم: إن أبي يوسف وجدي زيري، كانا يأخذان الناس بالسيف، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، ولست ممن يؤلّى بكتاب، ويُعزل بكتاب، وقصد المنصور من ذلك أن الخليفة الفاطمي بمصر لا يقدر على عزله بكتاب.

وقد واجهت المنصور عدة مشاكل، كانت منها غارات قبائل زناتة المستمرة على المدن المغربية في سنة (374هـ / 985م)، واستيلاء زيري بن عطية الزناتي على مدينتي فاس وسجلماسة، مما دفع المنصور إلى إرسال أخيه يطوفت على رأس جيش كبير لمواجهة هذه القبائل، ودارت معركة كبيرة بين جموع الفريقين، أسفرت عن هزيمة الصنهاجيين، وعودتهم إلى أشير³.

¹ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص74.

² - المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص239.

³ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص ص207، 208.

ثم تصدى الأمير المنصور في سنة (376هـ / 986م) لعمه أبي البهار الذي نهب مدينة تيهرت، ففر أبو البهار أمامه، ودخل المنصور المدينة، وأعاد إلى أهلها الأمن والهدوء. ثم توفي سنة 385هـ / 996م¹، ودُفن بقصره الكبير الخارج عن مدينة صبرة وكانت مدة حكمه نحو ثلاث عشرة سنة².

-باديس بن المنصور [386 - 406هـ/996 - 1015م]:

وُلد باديس في سنة (374هـ / 985م)، وتكنى بأبي مناد، وخلف أباه على المغرب في سنة (386هـ / 996م)، وأنته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله الفاطمي من مصر، وبايع للحاكم، وأعلن تبعية بلاده لخلافته، ثم أقطع عمه حماد بن يوسف مدينة أشير والمغرب وجعله عاملاً على تلك البلاد³، وولاه عليها، وأعطاه خيلاً وسلاحاً، وجنداً كثيراً.

فكانت هذه هي نقطة البداية لانقسام بني زيري إلى أسرتين: تحكم إحداهما بالمغرب الأدنى في ليبيا وتونس، وتحكم الأخرى -أسرة بني حماد- بالمغرب الأوسط في الجزائر، متخذة من قلعة بني حماد مقراً للحكم. وانفرد بنو حماد بإقليم الجزائر، نظراً لضعف قبضة الأمير باديس على البلاد.

وقد واصل باديس مطاردة زناتة، وأُخبر في سنة (387هـ/997م) بأن زيري بن عطية الزناتي قد اعتدى على مدينة أشير، فبعث إليه بجيشه لمواجهته، ولكن الجيش هُزم على أيدي الزناتيين، فاضطر الأمير باديس إلى الخروج بنفسه لمواجهتهم في أشير، فلما علم الزناتيون بذلك انطلقوا إلى الصحراء، وتركوا المدينة، فدخلها باديس، وأقر الأمور بها، ثم مات في سنة (406هـ/1015م)، ولقد كتم أكابر دولته خبر وفاته، فتشاوروا بينهم فاتفق رأيهم على تولية ابنه المعز⁴.

¹ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص 208.

² - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص78.

³ - نفسه، ص78.

⁴ - نفسه، ص80.

-المعز بن باديس [406 - 453هـ / 1015 - 1061م]:

كانت ولايته بالمهدية، أخذت البيعة للأمير المعز بن باديس بعد وفاة أبيه، حيث أتاح الناس من كل ناحية بإفريقية من أجل العزاء والتهنئة¹.

وقد حدثت في عهد المعز بن باديس بعض التطورات، حيث ألغى المذهب الشيعي، وخلع طاعة الفاطميين، ودعا على منابرهم للعباسيين، منتحلا السنة، وتصالح مع أبناء عمومته الحماديين سنة (408هـ/1017م)، وواصل مطاردة قبائل زناتة جهة طرابلس، في أبناء حماد². توفي المعز بن باديس في سنة (453هـ / 1061م)، بعد حكم دام سبعة وأربعين سنة³.

-تميم بن المعز بن باديس [453 - 501هـ / 1061 - 1108م]:

وُلد بالمنصورية سنة (422هـ/1031م)، ثم تولى إمرة المهدية في عهد والده المعز سنة (445هـ/1053م)، ثم خلف والده في الإمارة في سنة (453هـ / 1061م)، فواجه عدداً من الاضطرابات والقتال، حيث سيطر العرب الهلاليون على كثير من مناطق إفريقية، وثار عليه أهل تونس وخرجوا عن طاعته، فأرسل إلى تونس جيشاً كبيراً، حاصرها سنة وشهرين، وكان القائم على تونس ابن خراسان⁴، فلما اشتد الحصار على الناس، طلبوا الصلح، وعاد جيش تميم إلى المهدية، ثم ثارت عليه مدينة سوسة فحاصرها وفتحها عنوة، وأمن أهلها على حياتهم.

وقد تعرضت المهدية في عهده لهجمات الهلالية، لكنه تمكن من صدّهم، ثم حاصر قابس وصفاقس، واستولى عليهما من أيدي الهلالية الذين كانوا يحتلونهما. وعمد إلى مهادنة أبناء عمومته في الجزائر⁵، وزوج ابنته للناصر بن علناس أمير الجزائر، وأرسلها إليه في موكب عظيم، محملة بالأموال والهدايا. ثم هلك في سنة (501هـ / 1107م).

¹ - المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص247.

² - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، صص 210، 211.

³ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص84.

⁴ - نفسه، 84.

⁵ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج6، ص212.

- يحيى بن تميم بن المعز بن باديس [501 - 509هـ / 1107 - 1115م]:

تم له أمر الإمارة يوم وفاة أبيه، وكان عمره ثلاث وأربعون سنة، فوزع أموالا كثيرة، وأحسن السيرة في الرعية، ثم فتح قلعة أقليبية التي استعصى على أبيه من قبل فتحها، كما جهز أسطولاً كبيراً، كان دائم الإغارة على الجزر التابعة لدولة الروم في البحر المتوسط، ومات فجأة في يوم الأول من ذي الحجة سنة (509هـ - 1115م) وخلف من الذكور ثلاثين ومن البنات عشرين وساد في فترة حكمه العدل¹.

- علي بن يحيى بن تميم [509 - 515هـ / 1115 - 1121م]:

لم يكن الأمير علي بن يحيى حاضراً بالمهدية - التي ولد بها - حين وفاة والده، فلما وصل إليه الخبر، حضر مسرعاً، ودفن والده، وتولى الإمارة خلفاً له، ثم جهز أسطولاً كبيراً لمهاجمة جزيرة جربة، لأن أهلها قطعوا الطريق على التجار، وتمكن الأسطول من إخضاع الجزيرة، وأمن الأمير أهلها وعفا عنهم، ثم قضى على عصيان رافع عامله على قابس، الذي سعى إلى شق عصا الطاعة وحشد الجموع لمهاجمة المهدية²، حدثت بينه وبين رجار صاحب صقلية فتنة فاستخدم علي بن يحيى الأساطيل وأخذ يستعد للحرب³. قويت شوكة العرب في أيامه، توفي الأمير علي بن يحيى من مرض أصابه سنة (515هـ / 1121م)⁴.

- الحسن بن علي بن يحيى [515 - 543هـ / 1121 - 1148م]:

ولى الإمارة عقب وفاة والده الأمير علي، وكان عمره آنذاك اثنتي عشرة سنة، فقام صندل الخصي بإدارة شؤون الحكم، إلا أنه توفي بعد فترة قصيرة، فتولى القائد أبو عزيز موفق الإشراف على أمور البلاد⁵، وتمكن من صد الأسطول الصقلي الذي هاجم بعض حصون الزيريين في سنة (517هـ / 1123م)، وكذلك ألحق الأمير الحسن الهزيمة بجيش يحيى بن عبد العزيز بن حماد أمير بجاية الذي جاء لمهاجمة المهدية والاستيلاء عليها في سنة (529هـ / 1135م).

¹ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 88.

² - نفسه، ص 88.

³ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج 6، ص 214.

⁴ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 89.

⁵ - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج 6، ص 214.

وفي سنة (537-543هـ/1142-1148م) حل القحط بإفريقية وفر غالبية السكان إلى صقلية، واستغل ملك صقلية ذلك وجهاز أسطولاً كبيراً، وتوجه به قاصداً المهدية، ولم يستطع الحسن الدفاع عنها، وهرب بأهله ومتاعه إلى أبناء عمومته من بني حماد، فوضعوه وأهله تحت الحراسة، ومنعوه من التصرف في شيء من أمواله، ودخل الروم مدينة المهدية دون قتال أو ممانعة، فسقط حكم بني زيري، وسقطت إمارتهم، وكان الحسن بن علي آخر أمراء الدولة الزيرية¹.

¹ - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 90، 91، 92.

المحاضرة التاسعة: الدولة الحمادية الصنهاجية بالقلعة وبجاية (380-

547هـ/990-1152م):

ينتسب الحماديون إلى قبيلة صنهاجة¹، البربرية التي تنقسم إلى سبعين بطنا أهمها: تلكاتة، لمتونة، مسوفة، ولقد اختلف المؤرخون في نسبهم فمنهم من يقول أنهم من بطون البرانس من ولد برنس بن بر، ومنهم من ينسبهم إلى حمير في اليمن².
وبنو حماد أسرة حاكمة ببلاد المغرب الأوسط خلال سنة 405هـ-547هـ/1015-1152م، تعادل أسرة بني زيري في بلاد البربر الشرقية، ولقد نسبت إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد³.

وتعد الدولة الحمادية ثاني كيان سياسي بعد الرستميين (166 - 296هـ / 776 - 910م)، في المغرب الأوسط، تأسست بهذه البلاد⁴. وقد كان تأسيسها على يد حماد بن بلكين الذي ولّاه أخوه المنصور ابن بلكين بن زيري على ولايتي أشير⁵ والمسيلة¹، بعد

¹ - صنهاجة: كانت لهذه القبيلة أراضي بنواحي المدينة، وحول الونشريس وفي فرع آخر يعرف باسم مليكش يستقر بنواحي متيجة وكانت صنهاجة تتأوى بني عبد الواد وتتأصبهم العداء، وكثيرا ما كانت تخرج ضدهم. أنظر: المراكشي ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 330.

² - بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 06

³ - الخالدي الحلاج، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج14، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط01، 1998، ص4288.

⁴ - الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج01، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ص363.

⁵ - أشير: بناها زيري بن مناد، وتعرف بأشير زيري وكانت مدينة قديمة بها آثار عجيبة، وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمّرها، فليس في تلك الأقطار أحسن منها وهي بين جبال شامخة محيطة بها، وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر من بناء الأول. أنظر: مؤرخ مجهول، كتاب الاستبصار في معرفة الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، تعليق: سعد زغلول عبد

الحמיד، دار الشؤون الثقافية، ط2، بغداد، 198، ص 170.

نجاحه في الحرب التي كلفه بها ضد قبائل زناتة²، وبعد وفاة المنصور سنة (386هـ / 996م)، كلفه باديس الأمير الزيري بالتصدي لعميه ماكسن وزاوي الخارجين عن طاعته فواجهما حماد وتغلب عليهما، فرحل إلى الأندلس زاوي وقتل ماكسن ثم ولى وجهه إلى مساعدة باديس على القبائل الزناتية التي اشتدت ثوراتها، وهذه المرة اشترط حماد على ابن أخيه باديس أن يمنحه المغرب الأوسط وكل بلد سيفتحه وأن يسمح له أن ينشئ في مكان يختاره مدينة ليجعلها عاصمة لدولته الجديدة، فقبل باديس بذلك ومن ثم بدأ حماد يجتهد في محاربة الزناتيين حتى تمكن منهم، وفي سنة (398هـ / 1007-1008م) شرع في بناء مدينة القلعة واتخذها عاصمة لملكه، قصدها الناس واتسع عمرانها وعظم شأنها وزادت هيبة حماد وتعددت انتصاراته³.

فتوجس باديس منه خيفة، وفي هذا الشأن يذكر ابن الأثير: "... ظهر الاختلاف بين باديس أمير إفريقية وعمه حماد حتى آل الأمر بينهما إلى الحرب، وسبب ذلك أن باديس أبلغ

¹ - المسيلة: هي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر، أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة 323هـ / 932م، عليها سوران بينهما جدول ماء جاري يستدير بالمدينة وله منافذ يسقى منها عند الحاجة، وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن، وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسعها، أنظر: البكري أبي عبيد، المسالك والممالك، ج2، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ص ص 722، 723.

² - زناتة: قبيلة مغربية تتكون من عدة بطون عديدة ومتشعبة، يذكرها ابن خلدون بـ " شعوب زناتة " لكثرتها ولهجاتها التي تختلف فيما يبدو عن اللهجات الأمازيغية الأخرى والدليل على ذلك قول ابن خلدون: "... وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر"، وتتواجد أكثرية بطونها بالمغرب الأوسط حتى سمي باسمهم (وطن زناتة)، كانت تقطن من وادي ملوية غربا إلى وادي شلف والزاب شرقا، ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا. وقد قسمها ابن خلدون إلى فرعين أساسيين: الأول يتكون من جراوة، بني يفرن، مغراوة، بني يلومي ومانو. أما الثاني فيتكون من بني واسين، وهي التي عرفت فيما بعد ببني عبد الواد وبني مرين وبني توجين بين القرنين 1 و7هـ / 7 - 13م. أنظر: الأصبخري أبو إسحاق إبراهيم، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العالي وغريبال محمد شفيق، دار القلم، القاهرة، 1961، ص 36. الإدريسي، المصدر السابق، ص 36. ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص 04، 03.

³ - بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار الطليعة، ط1، 1965، ص 10.

عن عمه قوارص وأمورا أنكرها فأغض عليها حتى كثر عليه ذلك"¹. ويذكر ابن الأثير أيضا أن باديس طلب من حماد أن يسلم بعض ما أقطعه إلى ابنه المنصور، ويقصد بذلك مدينة تيجيس والقصر الإفريقي وقسنطينة وبعث بعمه إبراهيم وهاشم ابن جعفر أحد قواده ليقوما بهذه المهمة، وهي أن يبلغا حمادا هذا الطلب، ولما اقتربا إليه انظم إبراهيم إلى أخيه حماد وخلص طاعة باديس.

ومن ثم أخذ حماد في الاستعداد لملاقاة ابن أخيه، ولما علم بذلك باديس جمع جيشا وسار إليهما فتوجه حماد وأخوه إلى هاشم ابن جعفر في قلعة شقبنارية²، ونشبت الحرب بين الطرفين وانهزم فيها هاشم فغنم حماد الغنائم ورحل باديس إلى مكان يسمى قبر الشهيد، وفيه نشبت بينهما حرب ضروس انهزم فيها حماد، واستولى باديس على أشير ومسيلة بينما لجأ حماد إلى القلعة وتحصن فيها، ففرض عليه باديس حصارا في القلعة إلى أن وافته المنية سنة (406هـ / 1016م)، وخلفه على العرش الزيري ابنه المعز. ورغم وفاة باديس فإن الحرب والصراع الزيري الحمادي بقي مستمرا، حيث نشبت عدّة حروب انتصر فيها المعز بن باديس، ولكن بعد ذلك اتفقا على الصلح الذي أدى إلى تأسيس الدولة الحمادية سنة (405هـ / 1015م)، التي وبمرور الوقت بسطت نفوذها على المغرب الأوسط وبعض المناطق المجاورة، ووصلت سلطتها إلى الجنوب من بلاد الزاب³ ووادي ريغ وورقلة⁴.

لقد قامت الدولة الحمادية بدور كبير منذ تأسيسها وحتى غاية سقوطها في تاريخ المغرب الأوسط، ولد لعبت دور كبير على مسرح الأحداث في هذا الجزء من المغرب الإسلامي والعالم آنذاك، فلقد عملت على ترقية سكان المغرب الأوسط وحاولت أن تمد

¹ - ابن الأثير أبو الحسن، الكامل في التاريخ، ج7، دار الكتاب العربي، ط6، بيروت، 1986، ص 276.

² - شقبنارية: مدينة في بلاد إفريقية بالقرب من مدينة الأربس فيها آثار عظيمة، ويقال أنها كانت من أعظم مدن إفريقية. أنظر: الحميري محمد، المصدر السابق، ص348.

³ - الزاب: هي بلاد واسعة تتضمن مدن وأقاليم شتى، هي باغاية، تبجس، ميله، سطيف، لبرهة، نقاوس، طبنة، مقرة، المسيلة. أنظر: اليعقوبي أحمد، البلدان، تح: ضناوي محمد أمين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002، ص 190.

⁴ - الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ص

نفوذها غربا إلى المغرب الأقصى، ولكن قوى المرابطين الفتية وقفت في وجهها ومنعتها من بسط نفوذها على القبائل الزناتية¹.

تمتد الدولة الحمادية غربا إلى مدينة فاس وشرقا إل مدينة تونس، وامتدت جنوبا إلى وادي ريغ وورقلة².

ولقد شمل امتدادها غربا إلى فاس وبهذه الناحية كانت تتواجد إمارة بني يعلى بتلمسان ونواحي وهران وحكومة بني زيري بن عطية بفاس، وأغلب سكانها كان من الزناتيين، فكان الحماديون يترددون بجيوشهم عليها تسكينا للثورات أو اقتضاء للمغارم³.

وامتدت شرقا حتى اشتملت على تونس والقيروان وصفاقس وبلاد الجريد، وخضعت جزيرة جربة أيام العزيز، وهذه الناحية كان يغلب عليها العرب وبمدنها عدّة أمراء يتداولون في السياسة حسب أهوائهم ونزعاتهم، وأما جنوبا فلقد امتدت إلى بلاد الزاب ووادي ريغ وورقلة، وبقيت داخل هذه الحدود جهات من وطن زواوة وكتامة غير تابعة للحماديين، وقد أخضع الحماديون زناتة من بعد، ويظهر أن كتامة كذلك. ولكن لا نعلم لهم نفوذا بالجبال الممتدة فيما بين سكيكدة وجيجل من وطن كتامة، فإن بها قبائل قوية لا يعلم لها خضوع لأية دولة سواء في العصر العربي أو البربري⁴.

ويذكر المراكشي عن ملك بني حماد، فيقول: "إنهم كانوا يملكون من قسنطينة المغرب إلى موضع يعرف بسيو سيرات بينه وبين بجاية قريب من تسعة مراحل"⁵.

أما ابن خلدون فيذكر: "إن حمادا اقتطع ممالك الغرب لنفسه ما بين جبل الأوراس إلى تلمسان وملوية، واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها واستولى على موقعهم أشير

¹ - مقلد الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، مج02، ج04، مكتبة مدبولي القاهرة، ط01، 1994، ص266.

² - شريط عبد الله، الميلي محمد، الجزائر في مرآة التاريخ، قسنطينة، 1965، ص68.

³ - الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح: الميلي محمد، ج03، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص750.

⁴ - نفسه، ص751.

⁵ - المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1998، ص144.

بجبل تيطري، واستحدث ملكاً آخر قسيماً لملك آل باديس، وتجاورها غرباً دولة المرابطين ومواطن زناتة، وشرقاً مملكة بني زيري الصنهاجية¹.

-ملوك الدولة الحمادية:

يرأس الدولة الحمادية الأمراء من بني حماد، يدبرون شؤونها بعاصمتهم الأولى وهي القلعة ثم عاصمتهم الثانية وهي بجاية. وكان الأمير منهم هو وحده الحاكم الأمر في حدود الإمبراطورية التي كانت تشمل بلاد الجزائر وبعض من بلاد المغرب والمملكة التونسية في بعض الأدوار، لا ينازعه في سلطته منازع ولا يتدخل في شؤونه أحد².

كان ملوك الدولة رجالاً عظاماً، يهتمون بالشعب ويسعون في نشر الأمن بمختلف أرجاء المملكة ويعنون بتنشيط الفلاحة ووسائل العمران، ويقربون إلى بلاطهم العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من رجال الفكر والزعامة، وأهم ما يعاب به بعض ملوكهم هو التعصب المفرط للنزعة القبلية التي جلبت حروباً كبيرة بين صنهاجة وزناتة²⁹.

كما كان ملوك دولة بني حماد إلى البداوة أقرب لأنهم أنشئوا الملك إنشاءً، ولم تدع لهم ثورات زناتة وغيرهم سبيلاً إلى الترف، ولم ترتقي الدولة في سلم الحضارة إلا في عهد الناصر بن علناس وأبنة المنصور، وما مالوا إلى الراحة إلا بعد خروج أهم مواطن زناتة إلى المرابطين³⁰. ومن أهم الملوك الذين تداولوا على السلطة نذكر ما يلي:

أ- **حماد بن بلكين** : 405-419 هـ / 1014-1028م : و قد تطرقنا إليه في عنصر ملامح شخصية حماد بن بلكين.

ب- **القائد بن حماد** : 419-446 هـ / 1028-1054م :

خلف أباه وكان سديد الرأي عظيم القدرة وسلم لإخوته أهم أعمال المملكة، فولى يوسف على المغرب ويغلان على سوق حمزة (بويرة) و أستمر مع المعز على ما كان عليه والده، ثم خالف عليه عام 1041/432 م فخطب للعباسيين وزحف إليهم المعز، فحاصره بالقلعة نحو عامين، ثم قام بالصلح³¹.

وأهم الأحداث التي وقعت في عهده هو انقطاع العلاقات الزيرية الفاطمية³².

¹ ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص143.

² الكعك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي)، مراجعة: سعد

الله أبو القاسم وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 2003، ص173.

ج: الأمير محسن بن القائد : 446-447هـ/1054-1055 م :

ولي بعد أبيه بعده، وكان جبارا فضا مكث في الملك ثمانية أشهر وثلاثة وعشرون يوما، أوصاه والده أن لا يخرج من القلعة مدة ثلاث أعوام، فخالف وصيته وخرج منها لمحاربة عمه يوسف بن حماد.

وقد شهد المغرب الأوسط في عهده الأحداث التالية :

- دخول بني هلال إلى المغرب الأوسط.

- وصول ممثل الخليفة العباسية إلى القلعة .

- حملة محمد بن بلكين على زناتة .

- ثورة أهل بسكرة - غزو محمد بن بلكين للمغرب الأقصى. وقتل في منتصف ربيع

الأول 447هـ/1055 م

د- بلكين بن محمد : 447-454هـ/1055-1062م:

قال لسان الدين ابن الخطيب في وصفه : " كان شجاعا جريئا على العظماء، سفاكا للدماء"³³.

وقال عبد الرحمان بن خلدون فيه : " كان شهما قرما. حازما سفاكا للدماء، قد استطاع أن يستولي على مملكة الحماديين، بقوله وإرادته"³⁴.

وظهرت الدولة في عهده قوية متماسكة، فأطاعته القبائل وامتد طموحه إلى المغرب، فهاجم فاس عام 454هـ/ 1062 م، وقاتل المرابطين أصحاب "يوسف بن تاشفين" وشردهم إلى الصحراء، وفي أثناء عودته تأمرا عليه الناصر بن علناس عن أهل بيته مع طائفة من الصنهاجيين وقتلوه بتسالة من تراب المغرب الأقصى سنة 454 هـ، 1062 م³⁵.

هـ - الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين (454هـ، 481هـ)(1062-1089):

كان وصول الناصر بعد سلسلة من الفتن والحروب الأهلية بداية بنوع جديد من أسرة بني حماد يحكم البلاد مخالفا لفرع قائد ومحمد، وهو يعتبر خامس أمراء الأسرة الحمادية الذين حكموا البلاد، طالت فترته حتى بلغت 27 عاما حافلة بالأعمال الجليلة والانتصارات الحربية وواضعا أسس بناء أسرة حربية تصارع الدول المعاصرة لها في المغرب الأوسط من حيث القوة والتقدم العمراني وبناء الجيش³⁶.

قال عنه عبد الرحمان ابن خلدون : " بلغت جنوده إلى وركلان وولي عليها واخضع بسكرة ونواحيها، وأسس بجاية عام 460هـ / 1068م، وبنى بها قصر اللؤلؤة، وكان من أعجب قصور الدنيا، ونقل الناس إلى بجاية، وأسقط الخراج عنها، وفي أيامه عظمت دولة الحماديين، وبلغت أوج عظمتها"³⁷.

ويقول في ذلك عبد الرحمان ابن خلدون " وفي أيام الناصر هذا، كان استنحال ملكهم، وشغفهم على ملك ابن باديس إختهم بالمهدية لما أضرع منه الدهر بفتنة العرب الهلايين، حتى اضطرب عليهم أهلهم، وكثر الثوار منهم عليهم، فاعتزل آل حماد هؤلاء أيام الناصر هذا، وعظم شأنه، فبنى المباني الموثقة والعظيمة، وردد الغزوات إلى المغرب وتوغل فيه، إلى أن هلك عام 481 هـ / 1089م، وكان نفوذا واسعا، وحدود مملكته تشمل صفاقس وقسطنطينية والقيروان وتونس وغيرها"³⁸.

وكان الناصر محبا للفنون، والمعمار فأنشأ القصور الفاخرة وشيد بنايات كثيرة، واستدعى إليها العلماء والشعراء"³⁹.

وأهم الأحداث التي وقعت في عهده:

- ثورة بسكرة - توليت وزير جديد - حملة بني رقان على قلعة بني حماد - خضوع ثلاث مناطق من إفريقية للناصر - هجوم الحماديين على إفريقية الزيرية - اختطاط مدينة بجاية - حملة ثانية على إفريقية - الصلح الحمادي الزيري - قتال زناتة - عقد اتفاق بين الناصر والبابا إيغريغورا السابع - قتال المنصور بن الناصر لزنانة - وفاة الناصر. وتوفي الناصر عام 481 هـ 1089 م، بظاهر بجاية فحمل إليها ودفن بها"⁴⁰.

و- المنصور بن الناصر: (481 - 498هـ / 1089 - 1104) :

أنته الكتب والرسل من يوسف بن تاشفين، وغيره بالتهنئة والتعزية وأكمل عمل أبيه في تحضير الدولة والمحافظة على سلامتها، وانتقل إلى بجاية عام 483هـ / 1091 م"⁴¹.

قال عنه لسان الدين بن الخطيب: " وكان قائما على أمره، حميد الخصال، ضابط الأمور يكتب ويشعر، ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور (138 هـ / 158 هـ / 475 - 774 م) من رقع الثياب، والتحفز على القليل من الأشياء"⁴².

وقد بلغت الدولة الحمادية في عهده أقصى عصور مجدها، فقد عني المنصور بالمنشآت والقصور وفي أيامه أصبحت بجاية من أعظم مدن إفريقيا والمغرب الأوسط، وأوسعها عمراناً⁴³.

طمع المرابطون في تلمسان فهاجموها واحتلوها وزحف إليهم ليخرجهم منها، وهكذا كان المنصور رجلاً مظفراً في جميع معاركه مع الزيانيين والمرابطين الصنهاجيين، وعاش عظيماً في سلطانه إلى أن توفي عام 498 هـ / 1104 م⁴⁴.

ز- باديس بن المنصور: ربيع الأول 498 هـ، ذي القعدة 498 هـ/1104 م:

ولي بعد أبيه وكان عظيم السطو، شديد اليأس، سريع البطش، قتل عبد الكريم وزير أبيه في أول ولايته، ونكب عامل بجاية، وعزل أخاه العزيز بن المنصور عن مدينة الجزائر، وغربه إلى جيجل⁴⁵.

وكانت وفاته في 23 ذو القعدة عام 498 هـ -1104 م، ويقال أن أمه سمته لأنه كان يهددها ويتوعددها فلم يحكم سوى 07 أشهر⁴⁶.

خ. العزيز بن المنصور (498-515 هـ/1105-1121 م):

كان العزيز بجيجل عند وفاة أبيه و قدم إلى بجاية، وأستقل بالمدينة وأظهر من الحزم والعزم وحسن السياسة وبعد النظر⁴⁷.

حيث قال ابن خلدون مادحا سياسته: « صالح زناته وأصهر ابنته وطال ملكه في هدوء وأمن وكان العلماء يتناثرون في مجلسه وغزت أساطيله جربة فنزلوا على حكمه وأخذوا بطاعته ونازل تونس حتى أخضع أحمد بن عبد العزيز الخراساني لنفوذه، وبلغت دولة بني حماد في عهده منزلة سامية في رقيها العلمي والحضاري لكن القلعة أخذت في التدهور والانحلال بعد ذلك، وفي عهده وصل ابن تومرت إلى بجاية قادماً من المشرق عام 512 هـ/1118 م، واحتسب بها فسعى به إليه واستمر به فخرج إلى بني ورياكل بصنهاجة، وأقام بها يدرس العلم وطلبه العزيز فمنعوه وقاتلوه ودفنوه وهناك التقى بعبد المؤمن فارتحل معه إلى المغرب، ودام العزيز في حكمه حتى توفي عام 515 هـ/1121 م»⁴⁸.

شهد عصر هذا الأمير استقرار العرب الهلالية بكثرة وكثافة في بلاد المغرب الأوسط وازدياد نفوذه، ولم يستطع هذا الأمير إعادة الدولة الحمادية إلى قوتها التي كانت عليها وكان

آخر سلاطين دولة بني حماد، وقد سارت العلاقات بينه وبين أبناء عمومته بني زيري حكام المهدية⁴⁹.

قال عنه لسان الدين الخطيب: « كان يحيى بن العزيز فاضلا حكيما فصيح اللسان والقلم جالس الشعراء والأدباء والعلماء وحضر مجالسهم وكان مولعا بالصيد، كما كان يحب اللهو في مجالسه تغلب عليه عبد المومن بن علي عندما هاجم الموحدون دولته ففضوا عليه ونقلوه معهم إلى مراكش حتى توفي عام 558 هـ/1163 م⁵⁰.

وأهم الأحداث التي وقعت في عهده :

- الهجوم على المهدية - مساعدة حمادية للمرابطين - زيارة يحيى إلى قلعة بني حماد - استحداث السكة الحمادية - وصول الأمير الزيري الحسن إلى المغرب الأوسط - غزو المملكة الحمادية⁵¹.

واستولى عبد المومن بن علي على المغرب الأدنى، وامتد نفوذه إلى طرابلس وهكذا توحّد المغرب الإسلامي بكل أقسامه من حدود مصر الغربية (طرابلس) حتى المحيط الأطلسي تحت حكم الموحدين⁵².

سقوط الدولة الحمادية :

تسربت عوامل الضعف إلى الدولة الحمادية بعد حوالي القرن وربع القرن من الحكم بحيث عجزت عن مقاومة الحركة المرابطية⁵³، وكذلك الاضطرابات الداخلية والهجمات الأجنبية التي استهدفتها برا وبحرا واستهدفت الحكومة في الداخل، من أجل كسر شوكة تلك العناصر المتنازعة من ناحية و الثائرة من ناحية أخرى⁵⁴.

وإن من أهم الأسباب الأساسية لسقوط هذه الدولة هو ما لحق بها من داء الهرم وتفشي العصبية القومية، وتضعف الدعائم والقوى في حروبها الداخلية وما تكبدته من خسائر باهظة، في الأموال والأنفس أيام الحملات الهلالية، وما كان عليه الأمير يحيى بن عبد العزيز أيضا من الانحلال في الأخلاق، والاشتغال باللهو عن الملك وتواكله وسخريته برجال دولته، فإن مباشرة تسيير الدولة كانت بيد الوزير ميمون بن حمدون الذي كان الملك كثيرا ما يقبّح أعماله، ويسخر منه ويستقصه، فكان يدعو الشيخ الكذاب وهو مع ذلك عمدته في الإدارة⁵⁵، وهذا ما جعل الوزير ميمون يكاتب، خليفة الموحدين عبد المومن بن علي في شأن التملك

على المغرب الأوسط فخرج الملك عبد المومن من مراكش متجها نحو المغرب الأوسط عام 546هـ/1151م سالكا في طريقه سبيل التظليل والتروية، فأوهم الناس أنه يريد الأندلس⁵⁶. حتى نزل بغتة بخيله ورجاله بتخوم سيو سيرات المعروفة بفحص سيق، وقد قام الوزير ميمون بإخلائها من الجند والحامية، فكانت الطريق إلى الاستيلاء على مملكة بني حماد ممهدا ومعبدا⁵⁷.

وجعل أمنا على الطرق لكي لا يسلكها أحد، وكان غرضه كف الأخبار عن يحيى بن عبد العزيز حتى لا يستعد له، ثم أظهر العودة إلى مراكش وسلك طرقا غير معتادة ومنع من السؤال عن وجهته، فنادى مناديه «أيها الناس، من تكلم منكم بما معناه إلى أين هذا السفى، فجزاه السيف»، وأخذ عبد المومن بالسير فمكث بتلمسان يوما واحدا وخرج فملك مدينة المدية، وبلغ مدينة الجزائر على حين غفلة فاحتلها من غير مقاومة، وفر عاملها القائد بن العزيز إلى أخيه يحيى، فأخبره خبر عبد المومن ولم يكن له به علم، وكان بمدينة الجزائر الحسن بن علي آخر ملوك آل باديس، فسر بعبد المومن وترك الجزائر تحت نظره، وسار من الغد بالجيش إلى بجاية⁵⁸.

وما فتئ ملك مدينة بجاية يحيى بن عبد العزيز يستعد للمقاومة، حتى فاجأه عبد المومن بجيوشه على أبواب المدينة فاحتلوها، فكان دخولهم إليها عام 547هـ/1053م، واستمر عبد المومن في سيره زاحفا فاحتل القلعة، ومن بين القتلى عاملها جوشا بن عبد العزيز أخ الأمير يحيى، ثم كان بعدها حصار قسنطينة حتى اضطر يحيى بن عبد العزيز إلى الاستسلام، فكان هذا آخر العهد لملوك بني حماد⁵⁹.

واستمر الحارث بن العزيز على رأس مدينة بونة، غير ملتفت إلى سلطة الموحيدين بالمغرب الأوسط إلى عام 551هـ/1014م، وسقوطها 547هـ/1152م، حيث احتلت هذه المدينة أيضا، وقتل حاكمها الحارث بن العزيز⁶⁰.

ومن هنا سقطت دولة بني حماد بعد أن ظلت تحكم المغرب الأوسط طوال 142 عاما، حيث كان قيامها عام 405هـ/1014م، وسقوطها عام 547هـ/1152م. وبذلك طويت صفحة من صفحات الوجود الحمادي الإقليمي المتنقل، ودخل المغرب الإسلامي في طور الوحدة السياسية الكبرى في ظل حكم دولة الموحيدين الذين قضوا على الدولة الحمادية.

وعلى الرغم مما شهدته هذه الدولة من اضطرابات وحروب سواء مع بني عمومتهم الزيريين أو الزناتيين أو بنو هلال، إلا أنها تركت لنا شواهد مادية ثابتة ومنقولة تبهر العين وتسّر الناظر، بقيت تشهد على رقيها وازدهارها طيلة القرن ونصف القرن من الزمن، في عدّة مناطق من المغرب الأوسط أهمها: القلعة وبجاية وقسنطينة، بحيث بقيت هذه المدن تحتفظ لنا ببعض العمائر الدينية والمدنية والعسكرية، وخير دليل على ذلك مئذنة الجامع الكبير بقلعة بني حماد بالإضافة إلى بقايا قصر المنار والجامع الكبير بقسنطينة.

أما التحف الفنية والزخارف العمائرية فإن المتاحف الجزائرية تحتفظ لنا بقطع زخرفية فنية تدل على مدى التطور الفني الذي بلغته الزخارف في عصر الدولة الحمادية.

-المحاضرة العاشرة: الدولة المرابطية (440-540هـ/1048-1145م):

تم انفصال إفريقية سنة 440 هـ/1048 م، منذ أن قطع المعز بن باديس الخطبة للخليفة المنتصر بالله الفاطمي، والدعوة على منابر إفريقية للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وأعلن انفصاله السياسي والمذهبي عن الدولة الفاطمية.

ومنذ ذلك الحين دخلت إفريقية في صراع متواصل مع عرب بني هلال وبني سليم، الذين سيرهم الوزير اليازوري إلى المغرب الأدنى لتدمير عمرانها، وكذلك مع النورمان الغازين لسواحلها، حدث ذلك في الوقت الذي ظهرت فيه قوة بربرية فتية في أقصى جنوب المغرب، ما لبثت أن تولدت منها حركة دينية واسعة النطاق كان من أهدافها الإصلاح وتغيير المنكر، وقدّر لهذه الحركة أن تتسع و تتحول إلى حركة سياسية، هدفها السيطرة على المغرب، كان من أعظم قادتها يوسف بن تاشفين¹، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الدولة.

والمرابطين نسبة للرباط الذي أسسه زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين² (451 هـ/1059م)، في أعالي حوض نهر السنغال، ونظرا لصبرهم وجهادهم أصبحوا يعرفون بالمرابطين.

يعود تواجدهم بالمغرب الأوسط منذ عهد يوسف بن تاشفين (465-500 هـ/1088-1104 م)، الذي توغلت جيوشه واستولت على تلمسان³، وتنس والشلف والونشريس، ووصلت إلى مدينة الجزائر وأشير ما بين (472-474 هـ/1079-

¹ - هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتلي بن تليت الحميري الصنهاجي، من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، كنيته أبو يعقوب، مولده في سنة 400 هـ ببلاد الصحراء، و وفاته في سنة 500هـ. أنظر: ابن أبي زرع علي، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه: بن منصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1999 م، ص ص 172، 174.

² - هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، المجاهد المرابط الورع الزاهد الصّوام القوام مهدي المرابطين، أنظر: ابن أبي زرع علي، المصدر السابق، ص 156.

³ - قاعدة المغرب الأوسط وهي مدينة عظيمة فيها آثار كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة للأمم سابقة، بينها وبين وهران مرحلتان، أنظر: الحميري محمد عبد المنعم، المصدر السابق، ص 135.

1081م)، إلا أن الأمير الحمادي المنصور بن الناصر (481-498 هـ/1088-1104 م)، هزمهم بجيشه في تسالة سنة 476 هـ/1083م. ودخل تلمسان وتم توقيع الصلح بين الطرفين على أن تكون مدينة الجزائر آخر حدّ للمرابطين من جهة الشرق، وتم بذلك وضع حد للصراع العسكري بين الدولتين الصنهاجيتين، وأصبحت تلمسان قاعدة الحكم المرابطي في المغرب الأوسط، حيث تداول على حكمهم المسوفيون واللمتونيون: مزدلي بن تلكان (476-504 هـ/1083-1110م)، وتميم بن يوسف بن تاشفين (504-511 هـ/1110-1117م)، ويحيى بن إسحاق بن إنجمار، ومحمد بن يحيى بن فانو، وأبو بكر المزدلي بن تلكان (511-539 هـ/1117-1145 م)، ولما دخل الموحيدين الناحية الغربية من المغرب الأوسط سنة 539 هـ/1145م، عملوا على القضاء على الحكم المرابطي¹.

المرابطين أو الملتمين قوم صحراويون من قبائل صنهاجة اللثام، خرجوا من صحراء موريتانيا برسالة دينية سامية، تقوم على جهاد الخارجين عن الدين الإسلامي من قبائل برغواطة وغمارة في بلاد المغرب شمالا، وهم من صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء الغربية (صحراء شنقيط أو ما يسمى بموريتانيا)².

ولقد قدر للمرابطين أن يشكلوا قوة كبيرة، في الوقت الذي كانت مملكة قشتالة وليون تهدد دويلات الطوائف في الأندلس، وتقتطع من أراضي الإسلام مدينة إثر مدينة. وبلغ الخطر المسيحي مداه بعد أن سقطت مملكة طليطلة الإسلامية في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة، فاضطر ملوك الطوائف الذين يتزعمهم المعتمد بن عباد و المتوكل بن الأفطس إلى الاستجداد بالمرابطين.

¹ - المراكشي أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 17. أنظر أيضا: ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج6، ص 373. الملي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح: الملي محمد، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 283.

² - مقلد الغنيمي عبد الفتاح، المرجع السابق، مج 2، ج3، ص 101.

ولم يتردد يوسف بن تاشفين في تلبية ندائهم، فسار بجيشه إلى الأندلس، وتمكن من إحراز انتصار على قوى المسيحيين في موقعة الزلاقة¹ سنة (479 هـ / 1086م)، ولم تمض سنوات قليلة حتى أقدم بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف من عروشهم، وضم بلاد الأندلس إلى دولته².

وكان لدخول المرابطين الأندلس فاتحة عهد جديد في الفن المغربي، إذ فتح المرابطون أبواب المغرب، لتلقي فيض من التأثيرات الأندلسية، التي بدأت تتدفق في عصرهم على بلاد المغرب، وظهرت هذه التأثيرات واضحة فيما تركوه من آثار في المغرب³.

على الرغم من قصر فترة حكم المرابطون في الأندلس، إلا أن التأثيرات الأندلسية ظهرت واضحة المعالم على المباني التي أقاموها. بحيث شيّد المرابطون في المغرب الأقصى عددا من المنشآت الهامة، منها قبة البروديين بمراكش، كما عملوا على توسعة مسجد القرويين بفاس وتزيينه بالزخارف، وأقاموا من القلاع قلعة بني تاودة، ويرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينة مراكش.

أما في المغرب الأوسط فتتمثل عمائرهم في بناء المساجد الجامعة بمدينة الجزائر وندرومة وتلمسان⁴.

إلا أن الأثر الوحيد الذي مازال يحتفظ بطابعه الأول وبزخارفه العمائرية في عمارة المغرب الأوسط هو المسجد الجامع بتلمسان.

¹ - كانت عام 479 هـ / 1086م، دارت بين القوى الإسلامية والقوى الصليبية في وادي الزلاقة، جنوب غرب مدينة بطليوس، انتهت بانتصار المرابطين، بقيادة يوسف بن تاشفين وألفونسو السادس. أنظر: مقلد الغنيمي عبد الفتاح، المرجع السابق، مج2، ج3، ص 158.

² - عنان عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في بلاد المغرب الأندلسي، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964، ص 36.

³ - سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، ج2، ص 661.

⁴ - Bourouib (R) , L'art religieux musulman , pp 102 , 103.

لقد تنوعت الزخارف العمائرية في المباني المرباطية، واختلفت أشكالها تبعاً لاختلاف العمائر من حيث وظيفتها، كما نلاحظ عليها بعض التطور في جانبها المعماري والفني، غير أن ذلك التطور لم يكن فجائي أو ابتكار مرباطي بحت، إنما جاء تدريجياً وعلى فترات تاريخية ساهم فيها المعمارون، والفنانون المغاربة منذ وصول الإسلام إلى بلادهم، وبناء أول مسجد على أرضهم، وكانوا خلال مسيرتهم إما متأثرين أو مؤثرين في غيرهم.

-المحاضرة الحادية عشر: الدولة الموحدية (510-668هـ/1116-1269م):

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري انتشر بالشمال الإفريقي مذهب المجسمة الذي يفسر الآيات القرآنية التي بها تشبيه للذات الإلهية تفسيرا حرفيا، وقد أثار ذلك الاتجاه بعض الباحثين والمفكرين بهذه المنطقة، فاتجهوا اتجاها مخالفا خلاصته أن الله سبحانه وتعالى وحدة لا يتصورها العقل البشري، وهو فوق التشبيه، والله منزّه عن التشبه بالخلق والقول بغير ذلك كفر وإلحاد... وأطلق هؤلاء على أنفسهم لقب "الموحدين" الذين يعتقدون بوحدانية الله فيما يتعلق بالتركيب، فيرون أنه ليس مكونا من أجزاء كاعتقادهم بوحدانيته في الوجود، أي أنه لا إله إلا الله.

إلى جانب هذا، الخطأ الذي برز في عهد المرابطين حيث بالغ سكان المغرب في تبعية مذهب بن مالك فلم يعودوا يرجعون للأصول (القرآن والحديث)، وقد ثار الموحدون ضد هذا الاتجاه أيضا وقاموا بدعوتهم على أساس ضرورة العودة للقرآن والحديث والأخذ عنهما وعرفوا من أجل ميلهم للحديث والمحدثين.

كان زعيم الموحدين الأول محمد بن تومرت، ويرجع ابن خلدون¹ نسبه إلى علي بن أبي طالب، وأنّ جده الأعلى وفد مع إدريس إلى المغرب لكنه مع ذلك التحم مع قبائل مصمودة وصار منهم وانتسب إليهم. درس ابن تومرت في قرطبة وبغداد ودمشق والقاهرة، وأصبح له في الطريقة الأشعرية إمامة وقدم راسخة، وعاد بهذه الطريقة إلى المغرب حيث قابل علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين في دولة المرابطين وقد دبّ الخوف في قلب ابن تاشفين إذ أدرك أنه تجمع في بن تومرت صفات الزعيم بالإضافة إلى العلم والنسب الطيّب، وقد أشار بعض المستشارين على علي بقتله ولكن وزير علي هوّن عليه من أمره فاكتفى بإبعاده.

قصد ابن تومرت الصحراء لتعليم الناس واجتمع حوله عدد كبير منهم وبايعوه على الطاعة ولقبوه بالمهدي وعمل على عودة المسلمين للكتاب والسنة إلى جانب ذلك بدأ بمهاجمة الحكام الذين يسلبون أموال الناس بالباطل ويقصرون في الحكم بالشريعة الإسلامية وكان واضحا أنه يقصد سياسة المرابطين. وأعلن بين الناس أنهم تخلوا عن المبادئ الإسلامية التي

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص225-227.

كانوا يدعون لها إبان إقامة دعوتهم؛ مما أثار استنكار المرابطين الذين شنوا هجومهم على الموحدين حيث دارت معركة عنيفة بين المرابطين والموحدين وكان يقود جيش الموحدين عبد المؤمن بن علي من أبرز رجال المهدي، لكن الموحدين فشلوا ولم ينجو قائد جيشهم وقلة من أصحابه إلا بشق الأنفس، هذه الهزيمة لم تقلل من عزيمة المهدي بن تومرت الذي شكّل جيشاً جديداً وعاود الاضطدام بالمرابطين فحقق بعض الانتصارات التي شجعتة على مواصلة النضال ضد المرابطين؛ فأعد جيشاً كبيراً زحف به على مراكش وحاصرها ولكنه فك الحصار إذ تلقت المدينة معونة حربية من سبلماسة ومرض المهدي سنة 524هـ/1130م، فأوصى بالخلافة لقائد جيشه عبد المؤمن وتوفي عقب ذلك فكنم عبد المؤمن وأصحابه خبر الوفاة خوفاً من سخط المصامدة ضد ولاية عبد المؤمن بن علي لكونه من غير جلدتهم. فأسرّ خلافته حتى تمكن أمر دعوته وتمت مصاهرة بين عبد المؤمن والشيخ أبي حفص أمير هنتانة وكبير المصامدة فأعلنوا موت المهدي واستقر الأمر لعبد المؤمن، واستطاع عبد المؤمن أن يحقق أهداف أستاذه، فواصل انتصاراته الحربية حتى أسقط دولة المرابطين واحتل عاصمتهم سنة 551هـ/1146م، وزحف بعد ذلك إلى الأندلس حيث ورث المرابطين في الجزيرة الخضراء كما ورثهم في الشمال الإفريقي.

ولم يكتف الموحدون بما كان تحت سلطان المرابطون في الشمال الإفريقي؛ بل أنهم ساروا إلى الشرق واصطدموا بالنورمانديين الذين كانوا قد هزموا الحسن الزيري بتونس واحتلوا المهديّة سنة 553هـ/1148م. ومدوا سلطانهم من السوس إلى طرابلس وقد استطاع الموحدون أن يهزموا النورمانديين وأن يجلوهم عن الساحل، ثم سار الموحدون إلى الشرق فاحتلوا برقة حيث كان يسيطر النفوذ المصري وكانت لهم أساطيل مرهوبة الجانب وفلسفة في الحكم قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الزهد في الدنيا.

ومن أشهر ملوك الموحدين، أبو يوسف يعقوب المنصور ويقول عنه ابن خلكان: " وكان الأمير يشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر، وقتل العمال الذين تشكو الرعية منهم، وأمر برفض فروع الفقه وأنّ الفقهاء لا يفتنون إلا بالكتاب والسنة النبوية"¹.

¹ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص ص 237-239.

-الموحدون في الأندلس:

رأى الموحدون أن يرثوا ملك المرابطين في الأندلس كما ورثوه في إفريقيا، فبدعوا حملاتهم بذلك وتم لهم النصر. ومن أهم المعارك التي حقق فيها الموحدون انتصارا عظيما ضد المسيحيين؛ معركة الأرك سنة 591هـ/1195م، ولكن الموحدين عادوا وانهزموا في موقعة حصن العقاب سنة 609هـ/1213م، فهان بذلك أمرهم وتعرضوا لحملات المسيحيين والمنافسين من المسلمين حتى تبذدت قوتهم وتركوا الأندلس سنة 633هـ/1236م. ومما عجل في انهيار سلطان الموحدين في الأندلس أنهم حكموها بنواب لهم ولم يتخذوا مركزا لسلطانهم، فإذن بذلك بتفكك الدولة فظهر بنو حفص في تونس، وبنو زيان في تلمسان، وبنو مرين بمراكش وبجوار هذه الحركات القبلية والاستقلالية احتل بنو مرين عاصمة الموحدين سنة 668هـ/1270م.

المحاضرة الثانية عشر: الزيانيون الدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1554م):

شهدت بلاد المغرب الإسلامي في القرن 7هـ/13م، انقساماً سياسياً نجم عنه قيام ثلاث دويلات مستقلة، ويرجع سبب قيامها إلى انهيار دولة الموحدين وانهزام جيوشها في معركة العقاب¹ سنة 609 هـ / 1212 م. وهي دولة بني حفص في إفريقيا وعاصمتها تونس، ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان، ودولة بني مرين في المغرب الأقصى وعاصمتها فاس².

بنو زيان في الأصل هم من أمراء القبائل الرحل، التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، ثم أتاحت لها الظروف أن تكون دولة استمرت زهاء ثلاثة قرون، تأسست في القرن 7هـ/13م، على يد السلطان يغمراسن بن زيان³، الذي استطاع أن يؤسس دولة بالمغرب الأوسط عاصمتها تلمسان، مشكلة بذلك حداً فاصلاً عن جاراتها في المغربين الأدنى والأقصى. كانت عمليات يغمراسن بن زيان الاستقلالية تقوم على الامتيازات التي حصل عليها الموحدين أنفسهم⁴، وبويع كأمر سنة 631 هـ/ 1233 م.

¹ - في أوائل سنة 608 هـ / 1211 م، تحرك الناصر لدين الله بجيش جرار ودخل مدينة جبان، وحصنها ثم تركها وعسكر في السهل الواقع أمام مخرج المضيق، وسهل مليء بالتلال الصخرية وتسمى العقاب، وتمكن الناصر من الاستيلاء على الحصون القريبة من بلده ابده، ثم عاد الناصر إلى إشبيلية ليستكمل استعداداته، وفي سنة 609 هـ / 1212 م، تحرك نحو مخرج المضيق، ويسميه العرب مطرد الكلب، وفي نفس الوقت اتجهت قوات نصرانية نحو هذا الموقع و التقى الجيشان، بموقع العقاب، فكانت الهزيمة لجيش الموحدين، وتعتبر هذه الهزيمة النهاية الحقيقية لقوة الإسلام في الأندلس، أنظر: مقلد الغنيمي عبد الفتاح، المرجع السابق، مج2، ج3، ص ص 242، 243.

² - سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب، ج2، ص 867.

³ - يغمراسن بن زيان، هو فارس زناتة الأشهر، وبطلها الأكبر، مؤسس الدولة العبد الوادية بتلمسان، ولد سنة 600 هـ / 1203 م، بويع بالإمارة عام 631 هـ / 1233 م، ومات بوادي رهيو سنة 681 هـ / 1283 م، ونقل جثمانه إلى تلمسان ودفن بها، وكان مزاحماً في ملكه لبني عمه مرين، وبسبب الحروب التي تواصلت بينهم وبين أبنائهما وحفدتهما، ضاعت الأندلس و ذهبت هبة أقطار المغرب و منه تم احتلاله، أنظر: ابن أبي زرع علي، المصدر السابق، ص 382.

⁴ - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج2، ص 142.

غير أن وقوع هذه الدولة في مدينة تلمسان جعلها عرضة للخطر الذي يلحق بها شرقا وغربا، وذلك بسبب المنافسة، وإظهار القوة بجانب كل دولة تريد أن تتوسع على حساب الأخرى، وتفرض السيطرة على المغرب الكبير، وبالتالي تكون الوريث الوحيد للخلافة الموحدية، بالإضافة إلى النزاع التقليدي بسبب المراعي ومنابع المياه، لأن الخطر الأكبر كان يشكل عدم الاستقرار لبني عبد الواد¹.

استطاع هؤلاء في الكثير من المرات الوصول إلى تلمسان عاصمة الزيانيين، وذلك لم يمنع الزيانيين من المحافظة على ملكهم وتأمين دولتهم، إلى أن جاء السلطان أبو الحسن المريني، الذي ضرب حصارا طويلا على تلمسان، وأقام معسكرا ثابتا أمامها ليكون قاعدة هامة للعمليات الحربية.

ولقد اتسع نطاق هذه المعسكرات، حتى أصبحت مدينة كبيرة سميت بالمنصورة، و بعدها سقطت تلمسان في يد المرينيين سنة 737 هـ / 1337 م².

وظلت لمدة إحدى عشر عاما مركزا لحكم بني مرين، إلى أن استعادها بنو عبد الواد بعد أن شق أهلها عصا الطاعة على السلطان المريني، فدخلها السلطان الزياني أبو سالم إبراهيم أبي الحسن بأمان سنة 761 هـ / 1361 م، وتولى الحكم بنو عبد الواد، وازدهرت مدينة تلمسان في عهدهم بالرغم من العواصف والأنواء حتى أوائل القرن 10 هـ / 16 م، وما لبثت أن دخلت المدينة في صراع ثاني مع بني حفص في المغرب الأدنى، إلى أن استطاع السلطان الحفصي أبو فارس العزيز بن أحمد دخولها بعد قتله للسلطان الزياني، وقد عاود بنو حفص الكرة في عهد السلطان أبي عمر وعثمان بن محمد الحفصي. ومع ذلك فلقد ظلت دولة بني عبد الواد متماسكة تصدّ كل من يحاول القضاء على عرشها، وعلى الرغم من الاضطرابات التي واكبت عصر الدولة الزيانية خلال ثلاثة قرون، فإننا نجد أن الحضارة العمرانية مزدهرة. فذلك لم يمنع حكامها من إبراز الجانب الفني لها، هذا ما تدل عليه الآثار العمرانية القائمة التي ظلت تطاول فترة من الزمن إلى وقتنا الحاضر، ولقد ظهر فيها الفن الزياني كفن متكامل

¹ - أصل بني عبد الواد عابد الوادي، صفة لجدهم القاطن بواد هناك، أنظر: الجيلالي عبد الرحمن،

المرجع السابق، ج2، ص 141.

² - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج2، ص 145.

من حيث الأسلوب والأشكال الفنية والمواضيع المختارة وطريقة البناء، فخلفوا لنا مباني رفيعة على درجة كبيرة من الدقة والفخامة والإتقان.

حيث استمر بناء الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون، حيث ساهم الزيانيون أيما إسهام في إنشاء العديد من المعالم التاريخية والعمائر الدينية، التي تدل على عبقرية الفنان الزياني، ومن أبرز هذه المعالم المساجد والمدارس الدينية التي شيدها الزيانيون، خلال مختلف مراحل حكمهم.

ويعتبر مسجد سيدي أبي الحسن التنسي من أفخم مساجد المغرب الأوسط، بما حواه من ثوب زخرفي وفني، بالإضافة إلى مسجد سيدي إبراهيم المصمودي ومسجد أولاد الإمام. الواقع أن الفن المعماري والزخرفي في تلمسان الزيانية، يخضع خضوعا يكاد يكون مباشرا للتقاليد الفنية الموحدية، وهي فكرة عمت جميع أقطار المغرب الإسلامي، التي ورثت الدولة الموحدية سياسيا وحضاريا مثلما يتضح في العمائر الزيانية¹.

اشتهرت مدينة تلمسان في عهد أبي حمو الأول (707-718 هـ / 1307-1318م)، وابنه أبو تاشفين (718-737 هـ / 1318-1337 م)، بقصورها الجميلة والعظيمة. نذكر منها: دار الملك ودار أبي الفهر وقصر المشور²، التي أسهم في بنائها بناؤون ومزخرفون من غرناطة، ولكن للأسف فإن هذه القصور اندثرت، ولم يبق منها سوى أسمائها.

¹- Lambert (E) , l'art musulman d'occident des origines à la fin du xv^e siècle ,Paris, 1966,p107.

² - سالم عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985، ص 249.

-المحاضرة الثالثة عشر: الدولة المرينية (668-869هـ/1269-1465م):

ينتمي المرينيون إلى قبيلة زناتة وهم رحل مثل بني عبد الواد، ولقد قامت دولة بني مرين بعد أن تمكن السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق¹، من دخول مراكش عاصمة الموحدين سنة 668 هـ / 1268 م، وكان مركزهم المناطق الجنوبية للمغرب الأقصى امتدادا إلى بلاد الزاب (بسكرة حاليا).

وهم قوم مرهوب جانبهم، كثير جمعهم، وقد سميت دولتهم بالمرينية نسبة إلى جدهم مرين²، وبالواطاسية نسبة إلى وطاس بن فجوس بن جرماط بن مرين، وهم فرعان ينتسبان إلى نفس القبيلة البربرية زناتة، الذين ينتسبون إلى بني عبد الواد³. مرّ بنو مرين بنفس الظروف التي مرّ بها بني عبد الواد في تأسيس دولتهم، وساهموا في أكثر الوقائع العربية الموحدية، الأمر الذي جعلهم يتحصلون على امتيازات سياسية وعسكرية، سمحت لهم بوضع الأساس الأول لدولتهم، كما انتهزوا فرصة تسرب الضعف في كيان الدولة الموحدية، فدخلوا المغرب الأقصى و تمركزوا ببلاد الريف سنة 610 هـ / 1210 م، و كانت الخطوة الأولى لهم⁴. واستمروا في سيرهم إلى الأمام حاصدين الانتصارات الواحدة تلو الأخرى، إلى أن فتح الأمير يوسف بن عبد الحق مدينة مراكش، فقضى على العرش الموحدي.

استطاعت هذه الدولة منذ قيامها سنة 667 هـ / 1267م، من توسيع حدودها على حساب الدولة الزيانية، معتبرة نفسها الوريثة الأولى للخلافة الموحدية، فوصل نفوذها

¹ - هو أمير المسلمين يعقوب ابن الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد الزناتي ثم المريني الحمامي، ولد سنة 607 هـ / 1207م، وقيل سنة 609 هـ، لقبه أبو يوسف، تولى الحكم سنة 656 هـ / 1257م، بعد وفاة أبي بكر، توفي بقصره ببلدته الجديدة من جزيرة الأندلس سنة 685 هـ / 1286م، ودفن بمسجد شالة برباط الفتح من بلاد العدو، أنظر: ابن أبي زرع علي، المصدر السابق، ص ص 388، 390، 392.

² - نسبة إلى مرين بن ورتجان بن مخوخ من قبيلة زناتة التي تقطن أراضي الزاب من بلاد المغرب الأوسط، أنظر: ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، روض النسر في دولة بني مرين، تح: بن منصور عبد الوهاب، منشورات مطبعة القصر الملكي، الرباط، 1962، ص 38.

³ - سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص 868.

⁴ - الجيلالي عبد الرحمن، المرجع السابق، ج2، ص 98.

الأندلس، كما خضع لها المغرب الأوسط مدة طويلة حتى دبّ الضعف في كيائها، بسبب ضعف حكامها تنافسهم على السلطة، وبالتالي فقدت حدودها وأصبحت عرضة للهجمات الخارجية، مثل دخول الإسبان في أوائل القرن 10 هـ / 16م، وقد تميز القرن 8 هـ / 14م، بالمغرب الإسلامي كله انتشار الفتن، والمعارك، والاضطرابات السياسية المختلفة، التي أثارها النزاعات السياسية، والعصبية القبلية بين بني مرين وعاصمتهم فاس، والزيايين وعاصمتهم تلمسان، وكلاهما ينتسب إلى القبيلة الكبرى زناتة.

تعرضت تلمسان خلال ذلك إلى كثير من غزوات بني مرين، ف ضربوا عليها الحصار لمرات عديدة، أخطرها الحصار الطويل (698-706 هـ / 1298-1306م)، وهددها في وجودها أكثر من مرة، وتمكنوا من الاستيلاء عليها مرتين: الأولى في الفترة (734-750 هـ / 1334-1350م)، والثانية في الفترة (752-758 هـ / 1352-1358م)، تحذوهم الرغبة في محاولة تحقيق مشروع إعادة توحيد بلاد المغرب، تحت رايتهم مثلما كان عليها أيام الموحدين، وخلال الحصار الطويل، وفترة الاحتلال شيد المرينيون منشآت معمارية وعمرانية وفنية عديد في تلمسان، محاولة التأثير منهم على سكانها للقبول بمشاريعهم، وزينوها بأبهى حلة فنية وجمالية، هي خلاصة ما توصل إليه الفن الإسلامي المغربي الأندلسي من تطور وازدهار، وأرقى ما حققه من جمال وجمالية، تنوعت مواضيعه واختلفت أشكاله، وعبر من خلاله الفنان عن روح المجتمع المغربي في تلاقيه مع أمته الإسلامية وتواصله معها، مساهما بذلك في الحضارة العربية الإسلامية، بما توفر لديه من إمكانيات، وقدرات تقنية، وخبرات، وتجارب فنية هي رصيده الموروث الحضاري للفن الإسلامي، والفن المغربي الأندلسي الذي انتهى إليه في ذلك العصر¹.

ولكن للأسف فلم نكد نظفر بآثار عمرانية إلا القليل، منها ما سجله التاريخ من تخريب وتدمير، وما شيدته يد الحضارة الإسلامية بهذه الديار، رغم ذلك كله فإنها لا تزال بعض معالم المدينة من آثار هذه الدولة ماثلة للعيان قائمة بالمغربيين الأقصى والأوسط والأندلس.

¹ - لعرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي، ص 04.

عمائر هذه الفترة متعددة منها: المدارس، والمساجد التي ازدانت كلها بزخارف رائعة ترتاح لها العين¹، هذه المباني تمتاز برشاققتها وشكلها الأندلسي البديع، نذكر منها على سبيل المثال، المدرسة البوعنانية بفاس.

أما في المغرب الأوسط، فقليلة جدا تكاد لا تذكر بالنسبة لعظمة هذه الدولة، وفخامة سلطانها، واتساع عمرانها، ومن بين هذه العمائر المسجد الجامع المتصل بضريح الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي²، بقرية العباد³ من ضواحي تلمسان، والمدرسة المجاورة له، كلاهما من منشآت أبي الحسن المريني، فكانا آيتين في فن العمارة والزخرفة والنقش. والمسجد الثاني هو مسجد سيدي الحلوي، الذي يعتبر المسجد الأول، ومن أهم المساجد المرينية لشهرته الدينية والثقافية في عهد السلطان أبو عنان فارس⁴، سنة 754 هـ / 1354م، والمسجد الثالث الذي يعود إلى هذه الفترة مسجد مدينة المنصورة، وهو أوسع المساجد في تلمسان فلم تبق منه إلا الأطلال، وكذلك مدرسة أبي مدين وقصر العباد.

¹ - مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية، ص 90.

² - سيدي أبي مدين: هو أبو مدين شعيب بن لحسن الأنصاري، ولد سنة 520 هـ / 1126م، في قرية تدعى قطنيانة بالأندلس قرب إشبيلية، ودرس بالأندلس وطنجة ومراكش وفاس، وتلقى علوم أبي حامد الغزالي على يد بني حرزم، بعد العودة من الحج استقر ببجاية، وأخذ في نشر العلم وبعد أن كثر أتباعه وشي به عند السلطان يعقوب المنصور الذي أمر بإحضاره إلى مراكش، لكن الشيخ أبي مدين مرض أثناء طريقه إلى السلطان، وقد كان بلغ قرية تقابل بالقرب من تلمسان، فتوفي بها ودفن بقرية العباد، حيث قال: " ما أحلى الرقاد في العباد "، وكان ذلك سنة 594 هـ / 1197م. أنظر: ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تح: حاجيات عبد الحميد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985، ص 125. أنظر أيضا: السلاوي أبو العباس الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ج2، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص 297.

³ - العباد: مفردا عابد، أطلقت على هذا المكان منذ القديم، لوجود مقبرة دفن بها الكثير من الفقهاء وعلماء الدين، تقع هذه القرية في الضاحية الشرقية لتلمسان. و يقول حسن الوزان في وصفه: " مدينة صغيرة تشبه ربح تقع في الجبل على نحو ميل من جبل تلمسان وهي كثيرة الأزهار، وافرة السكان والصناع ومعظمهم من الصباغين، وبها دفن ولي كبير ذو صيت شهير يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات... وهناك أيضا مدرسة جميلة جدا ". أنظر: الوزان حسن، المصدر السابق، ج2، ص 24.

⁴ - أبو عنان فارس: ابن السلطان المريني أبو الحسن، تم إليه الأمر بعد انتصاره على أبيه ومقتل هذا الأخير سنة 752 هـ / 1351م، وما إن تم جلوسه على عرش أجداده حتى قام بغزو تلمسان سنة 753 هـ / 1352م، وأقام بها مدة، ونظرا لكونه ولوعا بالفن واقتداء بوالده الذي شيد مسجد سيدي أبي مدين وملاحقه، فقد شيد أبو عنان فارس مسجد سيدي الحلوي وملاحقه، وإن لم يبق لنا اليوم إلا الجامع، وبانتهاء حكم أبي عنان بوفاته سنة 759 هـ / 1358م، انتهى حكم المرينيين بتلمسان. أنظر: شاوش محمد، المرجع السابق، ص 104.

-قائمة المصادر والمراجع:

-المصادر:

- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.
- ابن الأبار، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1.
- ابن الأثير أبو الحسن، الكامل في التاريخ، ج7، دار الكتاب العربي، ط6، بيروت، 1986.
- ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، مج2، تح: القاضي أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل، روض النسرين في دولة بني مرين، تح: بن منصور عبد الوهاب، منشورات مطبعة القصر الملكي، الرباط، 1962.
- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: الأبياري إبراهيم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1989.
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عامر عبد المنعم، ج1، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج2، تح: تورّي شارلز، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.
- الإدريسي الشريف أبو عبد الله، المغرب وأرض السودان والأندلس (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1863.
- الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: ابن منصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991.
- السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، د ت.
- الغبريني أبو العباس أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزي، ط2، الجزائر، 1981.
- القيرواني الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، ط1، تح: محمد زينهم محمد عذب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.
- المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: بروفنسال ليفي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

- المقرئزي تقي الدين أبي العباس أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، طبعة بولاق، د ت.

- النصيبي (ابن حوقل)، صورة الأرض، القسم الأول، طبع مدينة ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1967.

-البكري أبي عبيد، المسالك والممالك، ج2، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.

_ البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب _ جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

-ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه: بن منصور عبد الوهاب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1999.

-ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968.

-ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تح: حاجيات عبد الحميد، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985.

-الأصطخري أبو إسحاق إبراهيم، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العالي وغريال محمد شفيق، دار القلم، القاهرة، 1961.

-البلاذري أبي العباس أحمد، فتوح البلدان، تح: الطباع عبد الله أنيس، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1987.

-البندق أبوبكر، أخبار المهدي بن تومرت، تح: حاجيات عبد الحميد، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986.

-الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

-المراكشي محمد بن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، مطبعة بريل، لندن، 1948.

-اليقوبي أحمد، البلدان، تح: ضناوي محمد أمين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002.

-مؤرخ مجهول، كتاب الاستبصار في معرفة الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، ط2، بغداد، 1988.

-ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، دار صادر، بيروت، د ت.

-المراجع:

- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3.

- إسماعيل محمود، قضايا في التاريخ الإسلامي.

- الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: بن ميلاد أحمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1990.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج1، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965.
- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي - حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987م.
- السرجاني، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2005، ج1.
- الشريف محمد الهادي، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.
- الشكعة مصطفى، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط8، 1991.
- الصلابي علي محمد، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2005، مج1.
- الصلابي علي محمد، الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2007.
- الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ط1، 2009.
- الطالب محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990.
- الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج2، شركة نبراس للطباعة، القاهرة، ط1، 2006.
- الكعك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- الملي مبارك، تاريخ الجزائر الحديث في القديم، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976.
- أيوب إبراهيم، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
- بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- بن قربة صالح، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.
- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار الطليعة، ط1، 1965.
- خطاب محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ج1، دار الفكر، ط7، 1984.

للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985.

- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ج1.
- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3.
- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ج2.

- جوليان شاري أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2.

- حسن أحمد محمود، تاريخ المغرب و الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1999.
- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، 2004.
- ذنون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
- سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

- سالم عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة
- سرور محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1978.
- سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.

- شاكر محمود، التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط6، 2000.

- شهاب نهلة أحمد ، تاريخ المغرب العربي، عمان، ط1، 2010.

- شهابي عبد العزيز، تاريخ المغرب الإسلامي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013.

- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- عنان عبد الله، عصر المرابطين والموحدين في بلاد المغرب الأندلسي، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1964.

د. مرزوق بثة _____ محاضرات في مقياس التاريخ السياسي للمغرب.

- فيلالي بلقاسم، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من الفتح إلى قيام دولة المرابطين، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2014.
- فيلالي عبد العزيز، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس.
- لعرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي.
- لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الجزائر، ط3، 1984.
- لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- لومبارد موريس، الإسلام في مجده الأول، ترجمة: العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد هيك، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية، 1991.
- مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية.
- مقلد الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، مج2، ج3، مكتوبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994.
- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007.
- مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004.
- حمودة عبد الحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي _ منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006.
- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر _ من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م_1962)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- إسماعيل محمود، حركة الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت، 1976.
- السلاوي أبو العباس الناصري، الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، ج2، الدار البيضاء، المغرب، 1954.
- المليي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح: المليي محمد، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- **المراجع الأجنبية:**

- Lambert (E) , l'art musulman d'occident des origines à la fin du xvé siècle ,Paris, 1966.

- http://www.arabdna.net :، يوم: 2014/01/01، الساعة: 20:20.